التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٤٦٦ السنة السابعة والأربعون - شوال ١٤٣١ هـ • الثمن ٢ جنيهات



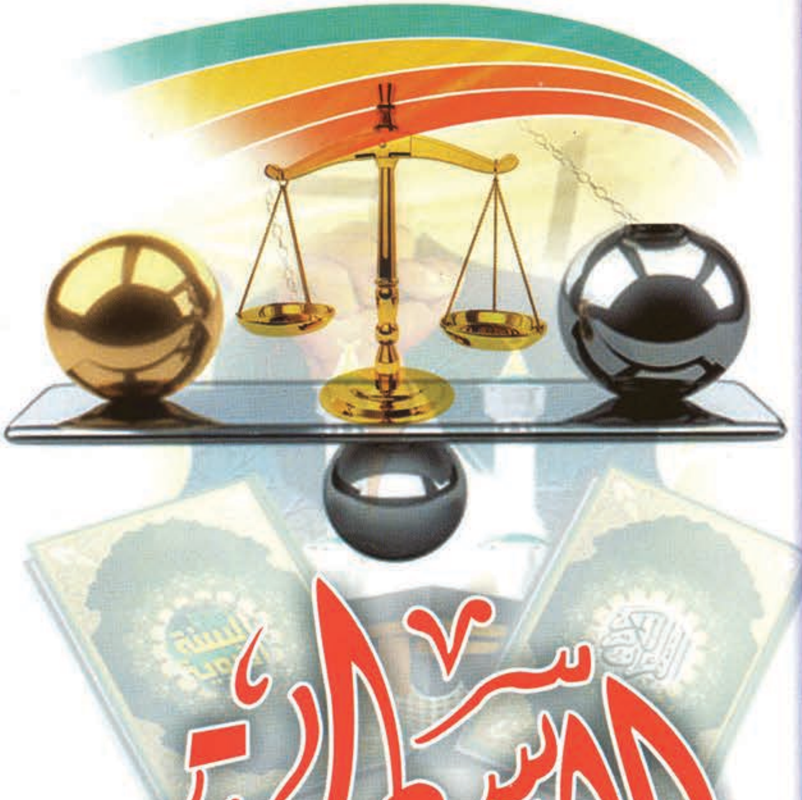
آداب العيد وصيام الست من شوال



الأخوة صفة نادرة ولزماننا مغادرة



فن التعامل مع الزوجة



الوسطية

بين أهل السنة ومخالفيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

السلام عليكم

عيدكم مبارك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فلقد كنا قبل أيام نستعد لاستقبال شهر رمضان، وها هو الشهر أقبل، وسرعان ما انقضت أيامه وانصرمت لياليه، وقد جعل الله لنا بعده عيدًا عظيمًا، نُعظِّم الله فيه، ونُكَبِّره ونشكره على جزيل فضله وإنعامه، وقد أمرنا الله بذلك عند إكمال العدة، فقال سبحانه: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة: ١٨٥)، والعيد يوم فرح وسرور يخرج فيه جموع المؤمنين إلى مصلاهم، وقد رفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل والتحميد، فرحين مستبشرين بما أفاض الله عليهم من نعمه؛ حيث أباح لهم الاستمتاع بالطيبات بعد استجابتهم لأمر الله بالصيام والقيام وسائر الطاعات، فالحمد لله كثيرًا، ونسأل الله سبحانه وتعالى للجميع القبول وأن يجعلنا من عتقائه من النار.

وإننا في أنصار السنة المحمدية ننتهز هذه المناسبة فنهنئ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذا العيد المبارك، ونسأله سبحانه أن يجعله عيد خير وبركة على أمة الإسلام والمسلمين، وأن يعيده علينا والأمة الإسلامية في عز ومجد، وأمن وإيمان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التحرير

إدارة التحرير	٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام	WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني	MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير	GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات	ت: ٢٣٩٣٦٥١٧	ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر



أهمية المحافظة على الطاعات

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فها نحن نودِّع شهر رمضان المبارك الذي جعل الله صيامه أحدَ أركان الإسلام، وقيامه مكفرًا للذنوب والآثام، وقد أقبلت فيه القلوب على الله بالطاعة والعبادة، وهذه نعمة من الله على عباده أن هيَّأ لهم المناسبات الفاضلة التي تُحَرِّك في العبد إيمانه، فيزيد في الطاعة، ويقصر عن المعصية، وقد انتهى رمضان، وفيه قدَّم كل منا لربه ما أعانه الله عليه ووفَّقه إليه، وهو شاهدٌ لنا أو علينا بما أودعناه فيه، ولذلك وجب على العبد أن يحاسب نفسه على ما قدم فيه، وهل كان للأعمال الصالحة التي قدَّمها أثرٌ على نفسه في القول والعمل والسلوك؟

وعلى كل حال: فالعبد مُطالَب بالأخذ بأسباب القبول على الدوام، والمحافظة والاستمرار على الطاعة بعد رمضان، ويسأل الله التوفيق والقبول، وليحرص كحرص الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- على قبول العمل ويخشى ألا يتقبل الله منه، قال الله تبارك وتعالى فيهم: « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ » (المؤمنون: ٦٠، ٦١)، وقد بينت هاتان الآيتان أن الذين يسارعون في الخيرات يقومون بحق الله فيما أمرهم به، ومع ذلك يخافون من الخلل والتقصير فيها ألا تقبل.

وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وغيرهما أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ » (المؤمنون: ٦٠) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا تقبل منهم. وقد صححه الألباني لطرقه كما في الصحيحة (١/ ٢٥٥).

وقال في تعليقه على الحديث: «والسر في خوف المؤمنين ألا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم ألا يوفيهم الله أجورهم، فإن هذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالى: « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ » (النساء: ١٧٣)، بل إنه ليزيدهم عليها، كما

قال: «ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله». والله تعالى «لا يُخلف وعده»، وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون ألا تقبل منهم، فليتأمل المؤمن هذا؛ عسى أن يزداد حرصًا على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها، واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم في هديه. (المرجع السابق).

وعليه، فإني أذكر نفسي وإخواني بضرورة الإحسان في العبادة، والمحافظة على الأعمال الصالحة، لنحفظ بذلك نعم الله المتواصلة، ونداوم عليها، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب المداومة على العمل، كما في البخاري من حديث مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: «الدائم». قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث الحث على المداومة على العمل وإن قلّ، وفيه الاقتصاد في العبادة وترك التعمق فيها؛ لأن ذلك أنشط، والقلب به أشد انشراحًا». (فتح الباري ١٨/٣).

وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه بابًا قال فيه: «باب أحب الدين إلى الله أدومه»، ثم ساق حديث عائشة وفيه: «وكان أحب الدين إلى الله أدومه»، قال ابن حجر في شرحه: «مراد المصنف الاستدلال على أن الإيمان يُطلق على الأعمال؛ لأن المراد بالدين هنا العمل، والدين الحقيقي: هو الإسلام، والإسلام الحقيقي مرادف للإيمان، فيصح بهذا مقصوده». (فتح الباري ١٠١/١).

ونقل ابن حجر عن ابن الجوزي أنه قال: «إنما أحب الدائم لمعنيين: أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصول، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها، وإن كان قبل حفظها لا يتعين عليه، ثانيها: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتًا ما، كمن لازم يومًا كاملاً ثم انقطع». (المرجع السابق ١٠٣/١).

وقال النووي رحمه الله: «وفيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خيرٌ من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة». (شرح النووي على صحيح مسلم ٧١/٦).

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه التهجد من صحيحه بعض الأبواب الدالة على المداومة على العمل وفضل قيام الليل، وكأنه يشير إلى الذين تهجدوا في رمضان وقرؤوا القرآن في القيام أن يستمروا على ذلك طوال العام. انظر مثلاً: باب التهجد بالليل، وباب فضل قيام الليل، وباب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل حتى ترم قدماه، وباب ما يُكره من ترك قيام الليل لمن يقومه.

وعلى المؤمن أن يغتنم حياته ويسارع إلى رضوان ربه في ليله ونهاره، فلا يضيع وقتًا من غير طاعة، والله تبارك وتعالى لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، قال الله تعالى: «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الحجر: ٩٩)، والمراد باليقين هنا: الموت، وهو ما ذهب إليه المحققون من أهل العلم، وقد ذكر البخاري عن سالم بن عبد الله أنه فسَّر اليقين هنا بالموت. (انظر: فتح الباري ٣٨٣/٨).

ونقله عنه ابن كثير وقال عقبه: «وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره، والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا: «وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ» (المدثر: ٤٦-٤٧)، وفي الصحيح عن أم العلاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات، قالت أم العلاء: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك

الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، فمن؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير».

ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي: « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (الحجر: ٩٩)، على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا فيصلي بحسب حاله، ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفرٌ وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هنا: الموت، كما قدمناه، ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية، وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسئول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم». (تفسير ابن كثير ٧٥٧/٢).

وأقول: نعم، الحمد لله على الهداية في البداية والنهاية، ورحم الله الإمام الحافظ ابن كثير الذي أبان عن معنى هذه الآية، وردَّ على المبتدعة المحرفين للكلم عن موضعه، الزاعمين أن بعض العباد- بحجة الولاية- إذا وصلوا إلى المعرفة القلبية سقطت عنهم التكاليف؛ لأن ذلك اليقين هو غاية الأمر بالعبادة، وهذا ضلال مبين، وخروج على دين رب العالمين، وهذه الطائفة وُجِدَتْ قبل ابن كثير وكانت في زمنه، وما زالت حتى يوم الناس هذا، وقد ردَّ أئمتنا عليهم بكلام يطول، وأكتفي بكلام العلامة ابن كثير، لأنه متقدم وغير مُتَّهم ببدعة، والجميع- إلا من زاغ عن الحق- يُسلِّم بإمامته وفقهه، وقد ردَّ على هؤلاء بما يكفي ويشفي- رحمه الله تعالى-.

وليحذر العبد من الغفلة والانتكاسة، فيترك الطاعة والعبادة، ويغير حاله من الطاعة إلى المعصية، ومن غَيَّرَ غُيِّرَ عليه، كما قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد: ١١)، وفي هذه الآية وعيدٌ شديدٌ لمن انحرف عن الدين، وخرج عن الاستقامة والطاعة بأن يبدل الله حاله، وينزل به بأسه، ويكون العبد بما قدمت يداه سببًا في ذلك.

قال القاسمي رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد: ١١) أي: من العافية والنعمة، «حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد: ١١)، أي: من الأعمال الصالحة أو ملكاتها، التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى أضدادها». (تفسير القاسمي ٣٦٥٥/٩).

وقد ضرب الله مثلاً سيئًا لمن نقض عهده مع ربه وخالف أمره، فقال تعالى: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ » (النحل: ٩٢)، قال البغوي رحمه الله: «هي امرأة خرقاء حمقاء كانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتأمر جواريها بذلك، فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلت، فهذا كان رأيها، ومعناه: أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض». (تفسير البغوي ٨٢/٣).

ولا شك أن الذي ينقض عهده ويخالف وعده ظالمٌ جاهل سفيه، ولحرص الإسلام على مواصلة الطاعة بمثلها ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صيام ستة أيام من شوال ورتب على ذلك الأجر العظيم، كما في حديث أبي أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر». (مسلم: ١١٦٤).

والعبد مخيَّر في صيامها خلال الشهر، وأما ما اشتهر بين العامة بعيد الأبرار لمن صام الست من شوال، فلا أصل له، وقد أنكره جمعٌ من الأئمة.

قال ابن تيمية: «أما ثامن شوال فليس عيدًا، لا للأبرار ولا للفجار، ولا يجوز لأحد أن يعتقده عيدًا، ولا يُحدث فيه شيئًا من شعائر الأعياد». (الاختيارات الفقهية ص١٨٨).

وختامًا أقول لأهل الإيمان: لا تبطلوا أعمالكم بما لا يرضي ربكم، وتنافسوا في الصالحات، وحافظوا على ما كسبتم وقدمتم من الطاعات. تقبل الله طاعتكم، والحمد لله رب العالمين.



من روائع الماضي

وصل ما بعد رمضان

إعداد: الشيخ محمد صفوت نور الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

أخـرج الجماعـة عـن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (ينزل ربُّنا- تبارك وتعالى- في كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيَه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟).

يقول الترمذي: قد رُوِيَ هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وذكر الروايات المتعددة بألفاظها وقد جمع العيني في "العمدة" مَن روى من الصحابة حديث النزول، فبلغ عددهم بضعًا وعشرين صحابيًّا.

مناسبة الموضوع:

هـذا الحديث يُصبح- إنْ شاء الله تعالى- بين يدي القارئ في شوَّال، وقد انخلع شهرُ رمضان بفضائله الكثيرة، وخيراته العميمة، منها ما جاءَ في الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (تسحَّروا؛ فإنَّ في السحور بركة)، فإنَّ من جملة بركات السُّحور أن يَستيقظَ المسلمَ في وقت السَّحَر، وأنْ يتناولَ طعام السحور، فيدعو بدعاءٍ طيِّب، كأنْ يقول بسبب الطعام: (اللهمَّ بارِكْ لنا فيما رزقْتَنا، وقِنَا عذابَ النار)، كما جاءَ في حديث ابن عمرو الذي رواه ابن السُّني، فيقعَ ذلك الدعاء في وقتٍ ينادي ربُّ العزة سبحانه على عباده: (مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له)، فيطلب خيرَ الدنيا كاملاً بقوله: (بارِكْ لنا فيما رزقْتنا)، وخيرَ الآخرة في الجنة يدخلها بغير سابقة عذابٍ بقوله: (وقِنا عذابَ النار) وغير ذلك من بَركات السحور، مع أنَّ ربَّ العزة ينادي على عباده في كلِّ ليلة من ليالي العام، فهُم يتمكَّنون منها في رمضان بفضْل السحور وبركاته؛ لذا أردتُ التنبيه على ذلك؛ لعلَّ المسلم الكريم بعد قراءة هذا الحديث يَعتاد في وقت السَّحر أن يجمعَ كلَّ حاجة له، فيبثها إلى ربِّه، ويُناجيه في ذلك الوقت الذي أظلمتْ فيه الدنيا، وهجَع فيه الناس، ونامتْ فيه العيون، فيقوم لربِّه يدعوه، فيأخذ بهذا السبب الأعظم الذي يرفع الله به البلاء، ويصرف به الداءَ، ويُفرِّج به الكَرْب، ويبارك به في الرِّزق، ويغفر به الذَّنب، ويتولَّى به العبدَ، فينال الخيرَ الكثير بالدعاء في هذا الوقت المبارَك في الثُّلث الأخير من اللَّيل.

(ينزل ربنا تبارك وتعالى):

يقول أبو الطيِّب في "السراج الوهاج": ولا شكَّ ولا ريبَ في ثبوت هذه الصِّفة لله سبحانه؛

لورود الأحاديث الصحيحة الكثيرة، التي بلغت حدَّ الشهرة والقبول، ومَن أوَّلها بنزول رحمته أو أمره أو ملائكته، أو حملها على الاستعارة بمعنى الإقبال على الدعاء بالإجابة واللطف ونحوها، فقد تحجَّر واسعًا، وأبعد النُّجعة، وسلك سبيل غير المؤمنين، وخالف السُّنة المطهَّرة الواضحة التي ليلها كنهارها.

ذكر الذهبي في كتاب "العلو": أنَّ حديث النزول قد بلغ حدَّ التواتر المعنوي؛ لكثرة طرقه وقوتها.

وقال ابن خُزيمة: نَشْهد شهادة مقرٍّ بلسانه، مصدِّق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذِكْر نزول الربِّ من غير أن يصف الكيفية؛ لأنَّ نبيَّنا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله- جلَّ وعلا- لم يترك، ولا نبيه عليه السلام تبيانَ ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدِّقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته، أو بصفة الكيفيَّة؛ إذ إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: وتأويل المجيء والإتيان والنُّزول ونحو ذلك، بمعنى القصد والإرادة ونحو ذلك هو قول طائفة، وتأوَّلوا ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ٢٩)، وجعل ابن الزاغوني وغيره ذلك هو إحدى الروايتين عن أحمد، والصَّواب: أنَّ جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحدٌ من الصحابة شيئًا منها، ولا أحدٌ من التابعين لهم بإحسان، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السُّنَّة والحديث: أحمد بن حنبل وغيره من أئمَّة السُّنة، ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبَّث بألفاظ تُنقل عن بعض الأئمَّة، وتكون إما غلطًا أو محرَّفة.

ويقول شيخ الإسلام: الصواب- وهو المأثور عن سَلَف الأمَّة وأئمتها- أنه لا يزال فوقَ العرْش، ولا يخلو العرْش منه مع دُنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرْش فوقه، وكذلك يومَ القيامة كما جاءَ به الكتاب والسُّنَّة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدمَ من السَّطح إلى الأرْض؛ بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله منزَّه عن ذلك.

يقول شيخ الإسلام- رحمه الله-: وأمَّا قول المعترض: إنَّ اللَّيل يختلف باختلاف البلدان، والفصول في التقدُّم والتأخر، والطول القصر، فيقال له: الجواب عن قولك مثل الجواب عن قول: هل يخلو منه العرْش أو لا يخلو منه؟ وذلك أنَّه إذا جاز أنه ينزل ولا يخلو منه العرْش، فتقدُّم النزول وتأخره، وطوله وقصره كذلك بناء على أنَّ هذا نزولٌ لا يُقاس بنزول الخَلْق... (حتى قال): فالنزول الإلهي لكل قوم هو مقدار ثُلث ليلهم، فيختلف مقداره بمقادير الليل في الشَّمال والجنوب، كما اختَلَف في المشرق والمغرب، وأيضًا فإنَّه إذا صار ثُلث الليل عند قوم؛ فبَعْدَه بلحْظة ثُلث اللَّيل عند مَن يقاربهم من البلاد، فيحصل النزول الإلهي الذي أخْبَر به الصادق المصدوق أيضًا عند أولئك إذا بقيَ ثُلث ليلهم، وهكذا إلى آخر العمارة.

يقول الجامي في "الصفات الإلهية": إنَّ السلف يُثبتون نزول الربِّ سبحانه إلى السَّماء الدنيا حين يبقى ثُلث الليل الأخير، كما يَليق بجلاله وعظمته، ويُثبتون المعنى العام للنزول دون الخوْض والتنقيب عن الكيفية؛ إيمانًا منهم بأنَّ معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الموصوف؛ فحيث آمنَّا بالله إيمانَ تسليم دون بحْث عن كُنْه ذاته سبحانه، فيجب الإيمانُ بجميع الصِّفات التي أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسولُه الأمين محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم وصفة النزول إلى السَّماء الدنيا من الصفات التي أخْبر عنها الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم ويشهَد له القرآن، حيث أخْبر الربُّ سبحانه عن مجيئه يومَ القيامة. فنستطيع أن نقول: إنَّ النزول ثابت بالكتاب والسُّنة، ولولا هذه النقول لكففْنا عن إثباتها، هذا هو الذي نَعْني بأنها خبريَّة محضة، إلاَّ أنَّ العقل الصريح، والفطرة السليمة، لا يرفضان كلَّ ما ثَبَت بالنقل الصحيح، ولا يَعُدَّانه مستحيلاً، كما يزعم بعض الزاعمين؛ لأنَّ

العقل يشهد أنَّ الذي يفعل ما يشاء إذا شاء أن يفعل مثل النزول والاستواء والمجيء مثلاً، والقادر على كل شيء أكمل من الذي لا يفعل كل ما يريد فعله؛ لأنه: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج: ١٦)، هكذا بصيغة (فعَّال)، وهي تدل على كثرة الفعل، وقد يُفهَم من الكثرة التنوُّع، والله أعلم.

هكذا يجتمع العقل والنقل على الدلالة على صفات الأفعال بما في ذلك نزول الربِّ سبحانه إلى السماء الدنيا كيف يشاء، ولله الحمد والمنَّة.

والحديث نصٌّ في إثْبات صفة الكلام أيضًا لله سبحانه، وأنه يتكلم كلامًا حقيقيًّا؛ لذا ساق البخاريُّ روايةَ لهذا الحديث في كتاب التوحيد، باب "يريدون أن يبدِّلوا كلام الله"، فذكر في كتاب التوحيد عدَّة أبواب في إثْبات كلام الله، وهو من صفاته، جمع فيها من الحديث عشرات، واستشهد فيها بكثير من الآيات.

وقول سلف هذه الأمَّة: إنَّ كلامه تعالى صفةُ فعْل يتكلم بها متى شاء، وكيف شاء، وإنَّ كلامَه حروفٌ وأصوات يُسمِعُها مَن يشاء من خلقه، وأنَّ صوتَه سبحانه بالكلام ليس كصوت المخلوقين، وهو متعلق بمشيئته واختياره.

وبعد؛ ففي الحديث: (مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟).

وفي روايات أخرى: (هل مِن تائب فأتوب عليه؟ مَن ذا الذي يَسترزقني فأرزقه، مَن ذا الذي يستكشف الضرَّ فأكشف عنه)، ومنه أيضًا: (ألا سقيم يستشفي فيُشفى)، (مَن يُقرض غير عديم ولا ظلوم).

وفي ذلك حثٌّ للمسلم أن يجمع حاجاته في ذلك الوقت فيَسأل ربَّه، فباب الخير مفتوح، وبيده ملكوت كل شيء، فهو ينزل المطر، ويُنبت النبات، ويُخرج الزَّرْع، ويدر الضَّرْع، ويبارك في الرِّزق: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢).

ففي الحديث تحريضٌ على السُّؤال والدعاء، وفيه أيضًا حثٌّ على عمل الطاعات، والإكثار من القُرُبات التي تساعدُ العبد على رفع الدعاء، وقبول الرَّجاء.

وفيه إشارةٌ إلى عظيم الثواب، وجميل العطاء في قوله: (مَن يُقرض غيرَ عديم، ولا ظلوم)؛ أي: لا يُضيع ثوابَ عامل، ولا يبخل على داع، ولا يردُّ سائلاً.

والحديث فيه بيانُ فضْل الدعاء في آخر الليل، وبالتالي في الصلاة والأذْكار؛ لذا كان أهلُ العلم يُفضِّلون صلاةَ آخر الليل على أوَّله، ومنه قولُ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لمَّا جمع الناس على صلاة القيام في رمضان، فكانوا يصلُّون في أوَّل الليل، فقال: (وإنْ كانت التي ينامون خيرًا من التي يقومون).

يقول تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران: ١٧)، يقول ابن كثير: دلَّ على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار، وقد قيل: إنَّ يعقوب عليه السلام لمَّا قال لبَنيه: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ (يوسف: ٩٨) أنَّه أخَّرهم إلى وقت السَّحر، (ثم ساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا).

ثم ساق حديث عائشة- رضي الله عنها-: "مِن كلِّ الليل قد أوْتر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أوَّله وأوسطه وآخره، فانتهى وترُه إلى السَّحر، وكان عبدُالله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقْبَل على الدعاء والاستغفار حتى يُصبح.

فضل الدعاء:

الدعاءُ عطاءُ الضُّعفاء الذي يحتاجه الأقوياء، ومنحة الفقراء التي يَفتقر إليها الأغنياء، وهو بابُ اختبار صدْق للباكي، يُكشَف به كذب المتباكي، فالنبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((هل تُنصرون وتُرزقون إلاَّ بضعفائكم؟))، قال ابن بطال: إنَّ الضعفاء أشدُّ إخلاصًا في الدعاء، وأكثر خشوعًا في العبادة؛ لخلاء قلوبهم من التعلق بزُخرف الدنيا.

فكأنَّ العبد مع عجزه عن أن يشملَ الناس بعطاء من طعام أو شراب أو مال، فإنَّه يَستطيع ذلك بالدعاء، فيُدخل المسلمين في دعائه، ويشمل المجاهدين والمظلومين والمرْضَى، بل والموتى من المسلمين في الدعاء؛ لذا

فعليه أن يتَّبع أسبابَ استجابة الدعاء، ومنها أن يدعو في جوف الليل، فإنَّ الله يبلغ بدعوته للمجاهدين نصرًا، ولحقوق المظلومين رَدًّا، وللمرْضى شفاءً، وللمدينين سَدادًا، وللموتى رحمة، وللمعذَّبين تخفيفًا، وغير ذلك مما يكون العبدُ شديدَ الحاجة إليه، ولا يدركه بما يملك من وسائل: شجاعة، وعتاد، ومال، ورفعة.

والذي يتباكى على المسلمين الذين فسَد حالُهم، وهانَت على الكافرين حُرُماتهم، ويرى أنه لا يبلغ موقعَهم؛ ليجاهدَ عدوَّهم فينصرهم، فيضعُف عن الوصول أو يحبس عنه، يملك- ولا شك- ثلث الليل الآخر، يضرع فيه إلى ربه، يستنصره فيبلغ الله- بقدرته التي لا تُغلب ولا تُحجَب- يبلغ بدعوته رزقًا ونصرًا، وشفاءً وخيرًا.

فإنْ عجَز العبد عن مقاومة نوْمه في ثلث الليل الآخر؛ ليقومَ بدعوة صالحة لمَن تباكى عليهم، دلَّ ذلك على أنَّ دعواه زائفة، فإنَّ شهوة النوم دون نزال العدوِّ وطعناته بكثير، ودون عطاء المال، وشَهْوة جمْعه، فدعاء جوْف الليل بابُ اختبار صدْق وعطاء واسع، خاصَّة وأنَّه من جملة الدُّعاء بظهْر الغيب.

والحديث في مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((دعوةُ المرْء المسلم لأخيه بظهْر الغيْب مستجابةٌ، عند رأسه ملَك موكل، كلَّما دعَا لأخيه بخيرٍ قال الملَك الموكَّل به: آمين، ولك بمثل)).

قال النووي: وفي هذا فضيلةُ الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعَا لجماعة من المسلمين حصلَتْ هذه الفضيلة، ولو دعَا لجُملة المسلمين، فالظاهر حصولُها أيضًا، وكان بعضُ السلف إذا أراد أن يدعوَ لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنَّها تُستجاب، ويحصل له مثلها.

يقول ابن حجر: وإنَّ الدعاء في ذلك الوقت مُجاب، ولا يعترض على ذلك بتخلُّفه عن بعض الداعين؛ لأنَّ سببَ التخلُّف وقوع الخلَل في شرْط من شروط الدعاء؛ كالاحترازِ في المطعم والمشرب والملبس، أو لاستعجال الداعي، أو بأن يكونَ الدعاء بإثم أو قطيعة رَحِم، أو تحصُل الإجابة ويتأخَّر وجود المطلوب لمصلحة العبد، أو لأمرٍ يريده الله؛ انتهى هذا الكلامُ النفيس فتدبَّره.

ولابن رجب في كتابه "جامع العلوم والحكم" عند شرحه لحديث: ((إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلا طَيِّبًا)) في ذلك الباب كلامٌ نفيس؛ فليراجع.

وفي الحديث بيان أنَّ في مفارقة بعض الشهوات الكثيرَ من الخيرات، وذلك كحديث أبي هريرة رضي الله عنه عندَ الشيخَيْن أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((حُجبت النار بالشهوات، وحُجبَت الجنَّة بالمكاره))، ففي ترْك شهوة النوم عندَ وفرة دواعيه، والاتجاه إلى ربِّه بالدعاء الخير الكثير، الذي يُستجاب به الدعاء؛ لذا يتَّجه الشيطان، فيَكيد للعبد عند نوْمه.

ففي حديث البخاريِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقد، يضرب على مكان كلِّ عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكَر الله انحلَّتْ عقدة، فإنْ توضَّأ انحلَّتْ عقدة، فإنْ صلَّى انحلَّتْ عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصْبح خبيثَ النفس كسلان)).

قال ابن بطَّال: هذا وقتٌ شريف، خصَّه الله بالتنزيل فيه، فيتفضَّل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤالهم، وغفران ذنوبهم، وهو وقتُ غفلة وخلوة، واستغراق في النوم، واستلذاذ به، ومقاومة اللذَّة والدعة صعْب، لا سيَّما أهل الرفاهية، وفي زمن البرْد، وكذا أهل التَّعب، ولا سيَّما في قصر الليل، فمَن آثَر القيام لمناجاة ربه والتضرُّع إليه مع ذلك، دلَّ على خلوص نيته، وصحَّة رغبته فيما عندَ ربه، فلذلك نبَّه الله عبادَه على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفسُ من خواطر الدنيا وشواغلها؛ ليستشعرَ العبد الجِدَّ والإخلاص لربه- سبحانه وتعالى.

نسأل الله القبول وحسن الخاتمة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة محمد

صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: « وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ
هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ
لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ »

(محمد: ١٦-١٨).

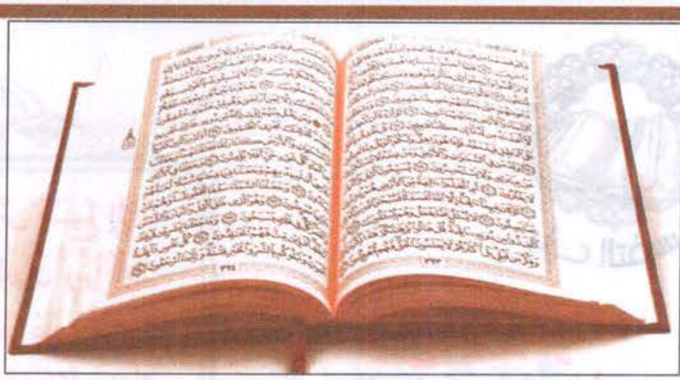
الحلقة التاسعة

إعداد: د. عبدالعظيم بدوي

يقول تعالى: «ومنهم» أي: الكفار المنافقين «مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى» يا نبينا لا للتعلم والاسترشاد، ولا للقبول والانقياد، وإنما للإنكار والاستهزاء، والتماس الأخطاء، كما قال تعالى: « نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا » (الإسراء: ٤٧)، ولذلك قال تعالى: «حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» وهم الصحابة، وهذه تزكية من الله تعالى لأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم بأنهم هم العلماء، وفي ضمن هذه التزكية دعوة لاتباعهم ولزوم جماعتهم، ولذلك ترجم البخاري في صحيحه: بَاب (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وترجم أيضا: بَابُ (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ. (فتح الباري لابن حجر: ١٣/٣١٦).

فإذا كانت الجماعة هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وكان الصحابة هم الذين أوتوا العلم بشهادة الله لهم، كانت الجماعة هي جماعتهم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». (صحيح جامع الترمذي: ٢٦٤١).

وعن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ! فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ



بِدْعَة ضَلَالَة». (صحيح سنن أبي داود: ٣٨٥١).

فالله تعالى يقول عن المنافقين: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا» أي قالوا على سبيل السخرية والاستهزاء بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا» أي لم يقل شيئا، «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا». قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ».

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم، «وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» يَقُولُ: وَرَفَضُوا أَمْرَ اللهِ، وَاتَّبَعُوا مَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِلَى حَقِيقَةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

وَسَوَّى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ صِفَةِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَنَّ جَمِيعَهُمْ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ دِينَ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم أَهْوَاءَهُمْ، فَقَالَ فِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ».

وَقَالَ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (القصص: ٥٠)، واتباع الهوى سبب الختم على القلوب كما في هذه الآية وكما في قوله سبحانه: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية: ٢٣).

وإذا ختم على القلب لم يخرج منه شرٌّ، ولم يدخله خير، فلا يهتدون سبيلا، كما قال تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا» (الكهف: ٥٧).

وقد صرَّح ربنا سبحانه وتعالى بأنه لا يختم على قلب العبد إلا بعد اختيار العبد الكفر والمعاصي بمحض إرادته، ومعاندته للحق وأهله، ونصرته للباطل وحزبه:

قال تعالى: «تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ» (الأعراف: ١٠١)، وقال تعالى: «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» (غافر: ٣٥)، وقال تعالى: «كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الروم: ٥٩)، وقال تعالى: «ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ» (يونس: ٧٤)، وقال تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء: ١٥٥)، وقال تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» (المنافقون: ٣).

قال تعالى: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ».

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَمَّا الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَيْكَ يَا نَبِيَّنَا، فَإِنَّ مَا تَلَوْتَهُ عَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوهُ مِنْكَ «زَادَهُمْ هُدًى» يَقُولُ: زَادَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ إِيمَانًا إِلَى

إيمانهم، وبيانًا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم (جامع البيان: ٥١/٢٦)؛ كما قال تعالى: « وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا » (مريم: ٧٦)، وقال تعالى: « وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » (التوبة: ١٢٤)، وقال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ » (يونس: ٩).

وهذا من فضائل الإيمان، ومن فضائله التوفيق لتقوى الله عز وجل، ولذلك قال سبحانه: «هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» أي: وفقهم للعمل بما أمر الله به، وهو التقوى. (معالم التنزيل: ١٥٦/٥).

قال الله تعالى: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ»:

لم ينكر تعالى على الكافرين والمنافقين عدم إيمانهم واتباعهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد « ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ » (القمر: ١) فيقول: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» يعني الكافرون والمنافقون لا ينتظرون إلا الساعة، وذلك لأن البراهين قد صحت، والأمور قد اتضحت، وهم لم يؤمنوا، فلا يتوقع منهم الإيمان إلا عند قيام الساعة. (التفسير الكبير: ٦٠/٢٨). وذلك حين «لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا» أي أمارات اقترابها، كقوله تبارك وتعالى: «هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۞ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ » (النجم: ٥٦-٥٧)، وكقوله جلت عظمته: «ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ » (القمر: ١)، وقوله سبحانه وتعالى: «أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » (النحل: ١)، وقوله جل وعلا: «ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ » (الأنبياء: ١).

ثم أخبر سبحانه أن إيمانهم يوم تقوم الساعة لا ينفعهم فقال: «فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ»: أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك، كقوله تعالى: « وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ » (سبأ: ٥٢). (تفسير القرآن العظيم: ١٧٧/٤).

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذي لا نبي بعده، والحاشر الذي يحشر الناس على عقبيه، فقد بيَّن صلى الله عليه وسلم أمارات الساعة وأشراطها بما لم يبينه نبي قبله، ومن جملتها:

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ في قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» (صحيح البخاري ٣١٧٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ- وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ». (صحيح البخاري: ٧١٢١).

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ»؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ". (صحيح مسلم ٢٩٠١). وللوقوف على المزيد من أشراط الساعة مفصلة راجع كتابي: الأربعون المنبرية في أشراط الساعة والأمور الأخروية).

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.



مفهوم وأهداف السوق الإسلامية المشتركة

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

يعني مفهوم السوق الإسلامية بأنه وسيلة تتم بها المعاملات بين المسلمين بدون عوائق أو قيود أو حواجز وفقا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، بهدف تحقيق التكامل الاقتصادي والتنمية الشاملة للأمة الإسلامية.

فالأمة الإسلامية تشترك في وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة القبلة ووحدة الدستور ووحدة المنهج ووحدة التاريخ ووحدة المصالح ووحدة المصير، لذلك يجب أن تتحد وتتضامن اقتصاديًا.

كما أن هذه الأمة تمتلك كل مقومات الوحدة الاقتصادية، ومنها عوامل الإنتاج الاقتصادية والبشرية التي لو استغلت استغلالاً رشيداً في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية لحققت للمسلمين الحياة الطيبة الرغدة في الدنيا، ولأصبحت القوة الاقتصادية درعاً منيعاً للمحافظة على المسلمين وعلى وأموالهم وسيادتهم وعزتهم.

إن المصالح المشتركة بين الأمم قاطبة في الفكر الاقتصادي الوضعي تدور في تلك المصالح المادية البحتة، أما المصالح المشتركة بين الدول الإسلامية فإنها مصالح عقدية أخلاقية سلوكية بالدرجة الأولى، فغيرتنا على ديننا تدفعنا لأن نكون خير أمة أخرجت للناس.

إن عقيدتنا وأخلاقنا هي المصلحة العليا، والدفاع عن ديننا هو سبيلنا للبقاء مرفوعي الهامات، وتمسكنا بوحدتنا هو الذي يجبر العدو والصديق على احترامنا، فنحن أمة قوية بعقيدتها، وشامخة برسالتها، ويجب أن نستغل كل عوامل القوة التي منحها الله لنا ومنها القوة الاقتصادية حتى نحافظ على هويتنا وحضارتنا، وهذا لن يتم إلا من خلال السوق الإسلامية المشتركة.

مجالات السوق الإسلامية المشتركة:

سوف تحقق السوق الإسلامية المشتركة التكامل والتنسيق في المجالات الآتية:

١- حرية انتقال البضائع والمنتجات والخدمات بين الدول الإسلامية، وأن يعاد النظر في الحواجز المصطنعة بينها؛ مع مراعاة مزايا كل دولة في مجال التخصص الإنتاجي، ومنع المنافسة فيما بينهم، وتكون المنافسة مع الدول الخارجة عن السوق من حيث السعر والجودة.

٢- حرية انتقال العمالة بين الدول الأعضاء

وتهيأت أسباب وظروف العمل الحر، ولا يجوز تفضيل وتشغيل غير المسلم على المسلم ما لم توجد أسباب يجيزها الشرع في هذا الأمر.

٣- حرية انتقال رؤوس الأموال واستثمارها في الدول الإسلامية في ضوء صيغ الاستثمار الإسلامي وفيما يحقق الخير للمسلمين.

٤- إيجاد صندوق نقد إسلامي، وبنك استثمار إسلامي وهو موجود بالفعل.

موجبات إنشاء السوق الإسلامية المشتركة:

لقد اهتم الإسلام بسوق المسلمين ووضع الضوابط اللازمة لها، لأنها أساس الاقتصاد والإعمار الذي تقوم عليه المعاملات الصحيحة وعصب الحياة وشريانها النابض.. إن قيام السوق الإسلامية المشتركة عاملاً رئيساً في تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة، وهذا ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر من مكة إلى المدينة حيث بنى للمسلمين سوقاً.

إن هذا المطلب ليس عزيزاً على أولياء الأمور المخلصين لدينهم والصادقين في تحمل مسؤولياتهم تجاه بارئهم وأمتهم وتاريخهم، واقتداء برسولهم.

إن السوق الإسلامية المشتركة هي الجسر الذي نعبر عليه لتفادي الخسائر الفادحة التي ستصيبنا بعد أن وقعت البلاد الإسلامية النامية على اتفاقية الجات الدولية، إذ يجب أن تتفق على حد أدنى من حرية التجارة فيما بينها.

وتأتي حتمية إنشاء السوق الإسلامية المشتركة من الموجبات الآتية:

١- إن هذا العصر هو عصر التكتلات، والدول الإسلامية أحرى ما تكون إلى التكتل والوحدة خاصة في مجال الاقتصاد، لتقف أمام الدول والأحلاف الأخرى موقف الند للند للدفاع عن مصالحها وتحقيق الرفاهية والرخاء والكرامة لشعوبها.. إن الوضع الدولي المعاصر يفرض على الدول الإسلامية أن تتعاون فيما بينها لتحافظ على مصالحها لأن الانعزالية أصبحت خطراً محققاً على أي دولة من الدول مهما أوتيت من القوة ومن الإمكانات الطبيعية والبشرية.

ومن هنا نشأت التكتلات والتجمعات على صعيد الاتحاد في دولة واحدة، كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، أو التعاون بين دول أوربا الغربية لتشكيل وحدة شاملة، أو بين دول تجمعها رابطة اللغة مثل دول الكومنولث أو الفرنكوفون، وهذا التكتل في الميدان العالمي هو من سنن الحياة، لأن الضعف يكون عندما لا يتعاون الإنسان مع غيره عندئذ يكون فريسة سهلة للقوى.

٢- حتمية التضامن الإسلامي بين الدول الإسلامية، وقد تم عقد أول مؤتمر قمة إسلامي في التاريخ الحديث في أيلول ١٩٦٩ م وتم الاتفاق على إنشاء أمانة عامة للمؤتمر الإسلامي، لمتابعة مقررات المؤتمر في دورات انعقاده المتتابعة، وأكد المؤتمر مجددا على قيام الحكومات المشتركة بالتشاور سوية بغرض تعزيز تعاون وثيق ومساعدة مشتركة في المجالات الاقتصادية والتقنية العلمية والثقافية والروحية المنبثقة من تعاليم الإسلام الخالد لمصلحة المسلمين والبشرية جمعاء. وتعتبر السوق الإسلامية المشتركة رمزاً لتطبيق قرارات هذا المؤتمر.

مقومات السوق الإسلامية المشتركة:

يضم العالم الإسلامي أكثر من ٥٠ دولة منها: دول ذات دخل منخفض، ودول ذات دخل متوسط، ودول مرتفعة الدخل تتمثل في مجموعة الدول العربية البترولية الواقعة في الخليج والجزيرة العربية وليبيا، ويبلغ عدد سكان العالم الإسلامي أكثر من مليار نسمة وثلث وفقاً للتقديرات الإحصائية الدولية عام ١٩٩٠م ويوجد بين هذه الدول كل مقومات التكامل الاقتصادي من أهمها ما يلي:

١- توزيع الموارد الطبيعية في الدول الإسلامية: يتسم العالم الإسلامي بترامي أرجائه المختلفة شرقاً وغرباً، ومن ثم تنوع المناخ والتربة والتضاريس وما يرتبط بذلك من ثروات طبيعية أو موارد أولية فهناك الدول الإسلامية البترولية والتي يرتفع فيها متوسط الدخل إلى المستويات العالمية مثل: الكويت والإمارات العربية المتحدة والسعودية وقطر والبحرين، كما يوجد تفاوت واضح في توزيع السكان على مستوى الدول الإسلامية حيث نجد بعض

الدول مثل إندونيسيا وباكستان وماليزيا ومصر وبنجلاديش وغيرها تعتبر من الدول مزدحمة السكان، بينما توجد دول أخرى مثل دول الخليج والصومال وموريتانيا قليلة السكان، وهذا التنوع في الموارد الطبيعية يساعد في تحقيق التكامل بين الدول الإسلامية.

كما يوجد داخل الدول الإسلامية الفحم والغاز الطبيعي مثل أفغانستان وباكستان، ودول أخرى لديها الفوسفات والبن والكاكاو والألمونيوم والنحاس، وبينما يوجد لدى بعض الدول الموارد الزراعية والثروة الحيوانية مثل: الصومال، والسودان، وموريتانيا، ويمتلك العالم الإسلامي أكبر رقم من إنتاج البترول العالمي ومعظم مصادر الطاقة ويمتلك أيضاً أكبر احتياطي عالمي منها، ويوجد لديه العديد من الموارد الأولية والخام مثل البن والشاي والكاكاو والمطاط والفوسفات والقطن والحديد والنحاس والذهب والماس، وينتج ٩٪ من إنتاج العالم من الغاز الطبيعي، و٣١٪ من البترول واحتياطي ٤٢٪، و٧٠٪ على التوالي من الاحتياطي العالمي عام ١٩٨٥، وهذا التنوع في الثروات الطبيعية يساعد في تحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

٢- تنوع المناخ والنشاط الاقتصادي: يؤدي تنوع الموارد الطبيعية وتنوع المناخ إلى تنوع مماثل في النشاط الاقتصادي داخل الأمة الإسلامية، وهذا يمكنها من تحقيق التكامل والتنسيق بينها

٣- توافر عوامل الإنتاج في الدول الإسلامية: يتوافر لدى الدول الإسلامية كل عوامل (عناصر) الإنتاج، وتحليل ذلك على النحو التالي:

أ) عنصر العمل: يبلغ عدد سكان العالم الإسلامي أكثر من مليار وثلث نسمة، ويبلغ معدل نمو السكان بها ٢,٥٪ سنوياً، وتوجد قوة عاملة كبيرة في مختلف المجالات والأنشطة الاقتصادية الحرفية في بعض الدول، وتعاني دول أخرى من نقص السكان وبالتالي نقص القوة العاملة في كل التخصصات، ويعمل نسبة كبيرة من القوة العاملة في القطاع الزراعي وتبلغ النسبة ٧٠٪ من إجمالي العاملين، وتوضح الإحصاءات الدولية أن ٥٠٪ من سكان الدول الإسلامية في سن العمل والإنتاج أي ترتفع نسبة العمالة في العالم الإسلامي خاصة في الدول المزدحمة بالسكان، وهذا يمكنها من تحقيق التنمية الاقتصادية في الدول الإسلامية.

ب) عنصر رأس المال: تعتبر الدول الإسلامية من أغنى دول العالم في ما لديها من رؤوس أموال ناتجة عن الثروات النفطية مثل دول (الأوبك)، وتقدر استثمارات دول الخليج العربي خارج الدول الإسلامية عام ٢٠٠٠م نحو ٥٠٠ مليار دولاراً أما حجم رؤوس الأموال العربية في الخارج فيقدر بما يتراوح بين ٧٥٠ - ١٠٠٠ مليار دولار، وحجم الودائع العربية في البنوك الدولية الغربية أكثر من ٢٨٠ مليار دولار يستثمر ٢٥٪ منها في صورة مشروعات قصيرة الأجل.. وبالنسبة للقروض من البنوك العربية الدولية تشير الإحصاءات التي تنازل هذه القروض المقدمة إلى الدول العربية والإسلامية، ولو استثمرت هذه الأموال في البلاد الإسلامية لحققت طفرة اقتصادية عالية.

ج) عنصر الأرض: تبلغ حجم الأراضي الزراعية القابلة للزراعة نحو ١٥٠٠ مليون هكتار بالإضافة إلى الثروات النفطية والمعدنية المتعددة والمتنوعة.. وتوجد أراضي إسلامية صحراوية وأخرى جبلية يمكن الاستفادة منها في أنشطة غير زراعية لتخدم عملية التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

د) عنصر التنظيم: يوجد في العالم الإسلامي العديد من بيوت الخبرة والمعاهد والأكاديميات العلمية المتخصصة، ورجال الأعمال الذين لديهم الخبرات العملية أي أن عنصر الإدارة والتنظيم متوفر ولكن للأسف يستعان بغيره من الخبرات الأجنبية.

يتضح من التحليل السابق أن مقومات السوق الإسلامية المشتركة موجودة وخصوصاً إذا أضفنا إليها بل يقع مقدمتها مقوم القيم الإيمانية والأخلاقية والسلوكية والعادات الإسلامية التي تمثل القاعدة الأساسية للوحدة بين الدول الإسلامية.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

الإمام الشاطبي

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قدمنا بفضل الله تعالى في الحلقات السابقة نبذة يسيرة لتراجم القراء العشرة ورواتهم، وها نحن نقف اليوم على سيرة عَلَم من أعلام القراءات ألا وهو الإمام الشاطبي الأندلسي الضرير صاحب المنظومة الشهيرة في القراءات السبع- رحمه الله-.

اسمه: القاسم بن فِيرُّة بن خلف بن أحمد الرُّعَيْني.

كنيته: أبو القاسم، وأبو محمد.

وُلد سنة ٥٣٨ هجرية، وقد وُلد أعمى.

شيوخه: قرأ بشاطبة بالأندلس القراءات السبع على أبي عبد الله بن أبي العاص النفزي، ورحل إلى بلنسية (وهي بلدة قريبة من شاطبة) فقرأ القراءات على أبي الحسن بن هذيل، وعرض عليه التيسير، وقرأ على أبي الحسن بن النعمة، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد بن عاشر، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم، وعليم بن عبد العزيز، وارتحل للحج وبعده دخل الإسكندرية فسمع من أبي الطاهر السلفي.

واستوطن مصر وتصدر للإقراء، وشاع ذكره، وانتهت إليه رئاسة الإقراء فيها.

قرأ عليه: عيسى بن يوسف المقدسي، وعبد الرحمن بن سعد الشافعي، وأبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، وأبو الحسن السخاوي (وهو من أجلِّ أصحابه)، والزين أبو عبد الله الكردي، والكمال علي بن شجاع الضرير المعروف بصهر الشاطبي، وغيرهم.

كان يصلي الصبح بغلس بالفاضلية، ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السُّرَىَ إليه ليلاً، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أولاً فليقرأ، ثم يأخذ عليَّ الأسبق فالأسبق.

سبب انتقاله من الأندلس إلى مصر:

ذكر السخاوي أنه -رحمه الله- طُلب منه الخطابة فتورع عنها لأن الخطباء كانوا يلزمون بذكر الأمراء بأوصاف لم يرها سائغة، واحتج بالحج، وترك بلده فلم يعد إليه، فطلبه القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني للإقراء بمدرسته بالقاهرة فأجابه.

زيارته لبيت المقدس:

لما فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس توجه إليه الشاطبي سنة ٥٨٩هـ للزيارة، وصام به رمضان واعتكف، ثم رجع إلى مصر فأقام في المدرسة الفاضلية يقرئ طيلة حياته.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه أبو الحسن السخاوي: هو الشيخ الإمام، شرف الحفَّاظ والقراء، علم الزهاد والكبراء.

وقال عنه الإمام النووي: لم يكن بمصر - في زمانه - نظيره في تعدد فنونه.

قال الإمام الذهبي: «كان يقال إنه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان يتوقد ذكاءً، له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقه والحديث، وله النظم الرائق، مع الورع والتقوى والتأله والوقار».

وقال عنه ابن خلِّكان: «كان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبرِّزاً فيه، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه، ويُملي النكت على المواضع المحتاج إليها من حفظه، كان أوحد في علم النحو واللغة، عارفاً بعلم الرؤيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل، وانتفع به خلق كثير وكان يجتنب فضول الكلام، ولا ينطق - في سائر أوقاته - إلا بما تدعو إليه ضرورة، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة، في هيئة حسنة، وتخشع واستكانة، وكان يَعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه، وإذا سُئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك.

وقال عنه ابن الجزري: هو ولي الله، الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار، والمشتهرين في الأقطار. وقال: «وكان إماماً كبيراً، أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً

بالعربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة.

من مؤلفاته:

١- منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني) وهي القصيدة اللامية في القراءات السبع المشهورة بالشاطبية وعدد أبياتها ١١٧٣، ولا غنى لطالب علم القراءات عن حفظها والقراءة بمضمونها.

٢- «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد»، وهي في علم رسم المصاحف، لخَّص بها كتاب «المقنع» لأبي عمرو الداني، وعدد أبياتها (٢٩٨).

٣- قصيدة «ناظمة الزَّهر» وهي رائية في علم الفواصل، اختصر فيها كتاب «البيان في عدد آي القرآن» لأبي عمرو الداني وعدد أبياتها (٢٩٧).

٤- قصيدة دالية تقع في (٥٠٠) بيت، نظم فيها كتاب «التمهيد» لابن عبد البر.

من أقواله:

لا يقرأ أحد قصيدتي هذه (يريد الشاطبية في القراءات السبع) إلا وينفعه الله، لأنني نظمتها لله.

وقد طاف حول الكعبة كثيرًا، وهو يدعو لمن يقرؤها فيقول: «اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ هذا البيت العظيم، انفع بها كلَّ من يقرؤها».

وفاته:

توفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩٠ هجرية عن اثنتين وخمسين سنة ودُفن يوم الاثنين بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح الجبل المقطم.

تعريف موجز بمنظومة الشاطبية في القراءات السبع

اسمها: (حرز الأماني ووجه التهاني)، وقد صرح الإمام الشاطبي باسمها فقال:

وسميتها حرز الأماني تيمنا
ووجه التهاني فاهنه متقبلا

قال أبو شامة: (معنى هذه التسمية أنه أودع في هذه القصيدة أمالي طالبي هذا العلم، وأنها تقابلهم بوجه مهنئ بمقصودهم).

ويطلق عليها (الشاطبية) اختصارًا، نسبة إلى صاحبها، ويطلق عليها (القصيدة اللامية) لأن قوافيها تنتهي على اللام.

موضوعها: لخص فيها كتاب (التيسير) لأبي عمرو الداني في القراءات السبع، وزاد فوائد عليه، وقد قال -رحمه الله-:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره
فأجنت بعون الله منه مؤملا
وألفافها زادت بنشر فوائد
فلفت حياء وجهها أن تفضلا

عدد أبياتها: (١١٧٣)، وأبياتها ألف تزيد ثلاثة ومع مئة سبعين زهرا وكملا

ابتدأ نظمها بالأندلس إلى البيت الخامس والأربعين، ثم أكملها بالقاهرة.

ثناء العلماء عليها:

قال الإمام الذهبي: «وقد سارت الركبان بقصيدتيه «حرز الأماني» و«عقيلة أتراب القصائد» اللتين في السبع والرسم، وحفظهما خلقٌ لا يُحصَوْن، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء وحذاق القراء، فلقد أبدع وأوجز، وسهل الصعب».

وقال ابن الجزري: (ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن...)، وقال: (ولا أعلم كتابًا حفظ وعرض في مجلس واحد وتسلسل بالعرض إلى مصنفه كذلك إلا هو).

مسائلها:

١- المقدمة: وذكر فيها خطبة الكتاب، وبيَّن بعض فضائل القرآن وشرف حَمَلته، وذكر القراء السبعة، ورواتهم وبيَّن رموزهم في الكتاب منفردين ومجتمعين، وبيَّن منهجه في عرض مسائل القراءات، ثم ختم المقدمة بنصائح لطلبة العلم وقراء القرآن.

٢- الأصول: وبين فيها أصول القراء السبعة.

٣- الفرش: ويذكر فيه اختلاف القراء مرتبًا على ترتيب السور.

٤- أحكام التكبير.

٥- بعض أحكام التجويد المتعلقة بالمخارج والصفات.

٦- الخاتمة: وقد مدح فيها قصيدته، وحمد الله على إتمامها، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه الكرام.

من شروح الشاطبية:

١- فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي تلميذ الناظم.

٢- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لأبي عبد الله الفاسي.

٣- العقد النضيد في شرح القصيد للسمين الحلبي.

٤- إبراز المعاني في حرز الأماني لأبي شامة.

٥- سراج القارئ لابن القاصح.

٦- كنز المعاني شرح حرز الأماني المعروف بشرح شعلة.

٧- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ علي الضباع.

٨- الوافي للشيخ عبد الفتاح القاضي.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

حجة بالغة وعمر مبارك

باب السنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد انقضى الشهر الكريم، وبانقضائه ينقضي جزء من الأجل، فالإنسان أيام، إذا ذهب يوم ذهب بعضه، وذهاب البعض ذهاب للكل، وبمرور الشهور والدهور يبلغ الإنسان أجلاً كما أنه يكون عليه حجة؛ فهو له عمر مبارك.

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

روى الإمام البخاري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلَّغه ستين سنة).

أولا: التخريج:

صحيح البخاري ت البغا (٥/ ٢٣٦٠)، كتاب الرقاق، باب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ؛ لقَوْله: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ» (فاطر: ٣٧).

ثانيا: الشرح:

شرح عنوان الباب:

١- قوله بابٌ: (أي هذا بابٌ) بالتنوين يذكر فيه (من بلغ) من العمر (ستين سنة فقد أعذر الله) عز وجل (إليه في العمر). وأعذر: أي أزال الله عذره فلم يبق له اعتذار كأن يقول: لو مدّ لي في الأجل لفعلت ما أمرت به.. إذ لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية؛ لقوله عز وجل: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ» (فاطر: ٣٧)، وهو توبيخ من الله، أي فيقول الله تعالى لهم توبيخا.

وقوله تعالى: (وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ): قال الحافظ في الفتح ج١١/ ٢٤٠: «وقد اختلف أهل التفسير فيه؛ فالأكثر على أن المراد به الشيب؛ لأنه يأتي في سن الكهولة فما بعدها، وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو مظنة اللهو، وقال علي: المراد به النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: إنها الآفات، وكله محتمل. (انتهى بتصرف من فتح الباري).

شرح الحديث:

(قوله: أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجَلَه) أي: أطال حياته (حتى بلَّغه ستين سنة) أي: لم يبق فيه موضعًا للاعتذار؛ حيث أمهله إلى طول هذه المدة، ولم يعتذر، يقال: أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر.

ومنه قولهم: أعذر مَن أنذر، أي أتى بالعذر وأظهره، وهو مجاز عن القول؛ فإن العذر لا يتوجه على الله، وإنما يتوجه له على العبيد، وحقيقة المعنى فيه أن الله لم يترك شيئًا في الاعتذار يتمسك به، قال ابن بطال: إنما كانت الستون حدًّا لهذا؛ لأنها قريبة من معترك المنايا، وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية؛ فهذا إعذار بعد

إعذار لطفًا من الله تعالى بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا قد فُطِرُوا على حب الدنيا وطول الأمل، لكنهم أُمِرُوا بمجاهدة النفس في ذلك؛ ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية.

ثالثًا: مما يُستفاد من الحديث:

أولاً: الاتعاظ بمراحل العمر:

والعمر الذي يلام المكلف ويوبَّخ عند تقصيره فيه لا يقتصر على عمر الستين. بل هو يشتمل على كل عمر يتمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه. فليس معنى الحديث أنه موعظة لمن بلغ الستين فقط، بل هو لكل مَن قدر على الإنابة، فلا يدري العبد متى سيموت، ولكل مرحلة من مراحل العمر وظائفها، ثم كلها بعد ذلك سنّ إنابة وتقوى لمن فَقِهَ سُنَّةَ الحياة الدنيا إذ قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ) (الحج: ١- ٢)، وتكرر معناها كثيرًا بما لا يحيط به مقال، فما خص بها رسول الله كبيرًا ولا صغيرًا، يقول ابن حجر رحمه الله تعالى: وقوله «أو لم نعمركم» متناول لكل عمر تمكّن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في حق المتطاول أعظم، واختلف في مقدار العمر المراد هنا، فعن علي بن الحسين زين العابدين سبع عشرة سنة. وعن وهب بن منبه أربعون سنة.

وقال مسروق: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل، وعن ابن عباس ستون سنة.. ولأبي الفرج بن الجوزي الحافظ جزءٌ لطيف سماه «تنبيه الغمر بمواسم العمر»؛ ذكر فيه أنها خمسة: الأول من وقت الولادة إلى زمن البلوغ، والثاني إلى نهاية شبابه خمس وثلاثين، والثالث إلى تمام الخمسين وهو الكهولة، قال: وقد يقال له كهل لما قبل ذلك، والرابع إلى تمام السبعين؛ وذلك زمان الشيخوخة، والخامس إلى آخر العمر، قال: وقد يتقدم ما ذكرنا من السنين ويتأخر. (ينظر فتح الباري ج١١/٢٤٠).

فإن كان الإنسان مطالبًا بالإنابة في جميع ما يعقل من عمره فلماذا الستون؟

وغاية ذلك فيما يبدو أن الستين فيها يظهر الشيب، وهي منحنى من منحنيات العمر، وإن امرأ بلغ الستين ولم يفقه أنه سيلقى الله، ويخلص في العمل، ويجعل أكثر وقته في الطاعة، لا حُجة له أبداً عند الله تبارك وتعالى، ولا يعني ذلك أبداً أن من دون الستين لهم الحجة على الله، فليس لأحد حجة على الله بعد إرسال الرسل، وانزال الكتب.

فإذا عُمِّرَ الإنسان حتى بلغ ستين سنة؛ فقد أُقيمت عليه الحجة، ونُفي عنه العذر؛ لأن ستين سنة يبقى الله الإنسان إليها؛ يعرف من آيات الله ما يعرف.

حجة بالغة وعمر مبارك:

هذا وإن كان كل من بلغ الحلم فقد كُلِّف، غير أن صاحب هذه السن قد بلغته حجة بالغة، وقد بلغ هو عمر جميل مبارك؛ إذ مع خبرته ودربته وإنابته ورقته لا يزال قادرًا على العطاء.

السنُّ عامل من عوامل التقدير:

وإن شئت قلت (مكانة كبار السن في الإسلام) كما سمّاه د. كامل القيسي في كتاب ماتع رقيق عنونَه بهذا العنوان، وبيّن فيه مكانة كبير السن في القرآن ومكانة كبير السن في السنة النبوية، وكان من أهم ما استند إليه من أدلة السنة حديث الشهر، إذ الحديث يحمل في طياته معنى غاية الخبرة بالحياة والعلم بغاية الخلق؛ فإن كان الله عز وجل الذي خلقهم قد جعل هذا السن هو سن الإنابة والاعتبار فلقد صار هذا السن

كذلك هو السن الجميل الذي يقدر فيه صاحبه من قبيل الخلق؛ إذ قد تعب أصحابه وخدموا وأفنوا أعمارهم لصغارهم وبذلوا فحري بالصغير أن يحترم كبيره وعندنا في هذا محجة بيضاء وشريعة غراء؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم مرشدًا للصغير أن يحترم الكبير، فقال: (كَبِّر، كَبِّر...) الحديث أخرجه البخاري.

إن إقامة الحجة خُلق تربوي فضلاً عن كونه أصلاً شرعيًّا؛ فالله عز وجل لا يُسأل عما يفعل لكنه يقيم الحجة على عباده، وهذا أصل من أصول الدين.

فقه السلف للغاية من الخلق:

لذا ولغيره من نور الوحيين علم سلفنا الصالح غاية خلقهم، واتعظوا من نور وحي نبيهم؛ فلم تكن مثل هذه الآثار لتمر عليهم دون معرفة غايتها أو يحفظوها دون تحقيق المراد منها. يقول (علي سعيد حسين) في كتابه (يا صاحب الستين ص١٣)، وما بعدها بتصرف: «ولقد فطن سلفنا الصالح إلى أمر الستين؛ فأولوها عناية زائدة خاصة بها، واستقبلوها خير استقبال.

فهذا البخاري رحمه الله يبوب في صحيحه عن الستين عامًا فقال: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله تعالى: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ» (فاطر: ٣٧).

وبوّب النووي في رياض الصالحين: باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر، قال الله تعالى: «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ» (فاطر: ٣٧)، قال ابن عباس رضي الله عنهما والمحققون: معناه أو لم نعمركم ستين سنة (رياض الصالحين).

وقال المناوي في فيض القدير: «من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، أي بسط عذره على مواضع التملق به وطلب العذر إليه كما يقال لمن فعل ما نهي عنه ما حملك على هذا؟ فيقول: خدعني فلان وغرني كذا ورجوت كذا وخفت كذا) (فيض القدير للمناوي).

والإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم.

لما كان هذا العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك» رواه الترمذي وابن ماجه (تفسير ابن كثير والحديث صحيح، في صحيح الجامع).

وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل، وأصرحُ من ذلك ما أخرج الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة - رضي الله عنهم - رفعه: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك». (ينظر الكتاب الماتع: يا صاحب الستين لعلي بن سعيد حسين) ص١٣ وما بعدها، وينظر فتح الباري ج١١/ ٢٤٠)).

ومن آثار السلف كذلك:

١- قال عليّ- رضي الله عنه-: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإنّ الدّنيا ارتحلت مدبرة. (البخاري- الفتح ١١/ ٢٤٠).

٢- وعن أبي ذرّ الغفاريّ- رضي الله تعالى عنه- عندما دخل عليه رجل فجعل يقلّب بصره في بيته فقال: يا أبا ذرّ! أين متاعكم؟ فقال: إنّ لنا بيتا نتوجّه إليه، فقال: «إنّه لا بدّ لك من متاع ما دمت هاهنا»، فقال: إنّ صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا. (جامع العلوم والحكم: ٣٣٢).

والحمد لله رب العالمين.



مقدار زكاة الفطر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين». [رواه البخاري: ١٤٣٢، ومسلم: ٩٨٤].

والصاع النبوي يُقدَّر به الكفارات والزكوات، ولذا يلزم أن يعرف المسلم مقدار الصاع النبوي، وقد ذكر أهل العلم للصاع تقديرات متعددة.

والصاع المقصود هو صاع أهل المدينة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ضابط ما يُكال بمكيال أهل المدينة، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن على وزن أهل مكة». [أخرجه أبو داود والنسائي].

والصاع مكيال لا يمكن أن يعدل بالوزن؛ لأن الصاع يختلف باختلاف ما يُوضع فيه، فصاع القمح يختلف وزنه عن صاع الأرز، وهكذا.

علمًا بأن تقديرات أهل العلم في المذاهب الأربعة قد قدرت الصاع من الأرز بالوزن بما يعادل كيلوين وأربعين جرامًا، إلى ثلاث كيلوات وسبعة عشر جرامًا.

وقد قدر بعض أهل العلم الصاع بصاع موروث بسنده عن الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه بمقدار بين هذين التقديرين تقريباً .

وبناء على ما تقدم فإلى القارئ الكريم بعض التقديرات لبعض الأطعمة:

نوع الطعام ووزن الصاع منه بالكيلو

م	نوع الطعام	الوزن
١	أرز مصري	٢,٧٣٠
٢	قمح	٢,٨٠٠
٣	دقيق بر	١,٧٦٠
٤	عدس	٢,٠٠
٥	لوبيا جافة	٣,٠٠
٦	فاصوليا جافة	٣,٠٠
٧	فول	٢,٢٥٠
٨	تمر سكري	٢,٥٠
٩	تمر روثان جاف	١،٦٨٠

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٩)

٦٥٦- «إِذَا رَأَيْتُمْ أَمْرًا لَا تَسْتَطِيعُونَ تَغْيِيرَهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُهُ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩٢/٨) ح(٧٦٨٥)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٩٢/٢) (ح١٦٠٨) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عُفير بن مَعْدان أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٦٧٩/٨٣/٣) ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، قال أبو حاتم: يكثر عن سليم عن أبي أمامة بما لا أصل له. وقال أحمد: منكر الحديث. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال أيضًا: ليس بثقة. وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٩٨/٢): «كان ممن يروي المناكير عن أقوام مشاهير، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به». اهـ.

وأورده ابن عدي في «الكامل» (٣٧٩/٥) (١٥٤٤/٥٧٦)، وأخرج أقوال الأئمة التي نقلها الإمام الذهبي في عفير بن معدان بسنده عنهم، ثم أخرج هذا الحديث من مناكيره ثم قال: «ولعفير بن معدان غير ما ذكرت من الحديث، وعامة رواياته غير محفوظة». اهـ.

٦٥٧- «مَا أَتْقَاهُ! مَا أَتْقَاهُ! مَا أَتْقَاهُ؛ رَاعِي غَنَمٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ يُقِيمُ فِيهَا الصَّلَاةَ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «الكبير» (١٩٧/٨) (ح٧٧٠٧) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عفير بن معدان، وهو منكر الحديث، ليس بثقة وليس بشيء؛ يروي المناكير عن المشاهير، بطل الاحتجاج به كما بينا آنفًا.

٦٥٨- «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (١٩٩/٨) (ح٧٧١٣) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عفير بن معدان، منكر الحديث ليس بثقة، وليس بشيء بطل الاحتجاج به كما بينا آنفًا، وأورد هذا الحديث الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٥/١٠) وقال: «رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان مُجْمَعٌ على ضعفه». اهـ.

٦٥٩- «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أُكْرِهَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٦١/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لا أصل له مرفوعًا، وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز، هكذا

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس». اهـ.

٦٦٠- «إنَّ المُتَشَدِّقِينَ في النَّارِ».

الحديث لا يصح، أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩٥/٨) (ح٧٦٩٦) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عفير بن معدان، وهو ليس بثقة مجمع على ضعفه كما بينا آنفًا.

٦٦١- « أولُ ما يُوضَعُ في الميزان حُسْنُ الخُلُق والسَّخاءُ، ولما خلَق الله الإيمان قال: اللهم قوّني فقوّاه بحُسْن الخُلُق والسخاء، ولما خلَق الله الكُفر قال: اللهم قوّني. فقوّاه بالبخل وسوء الخُلُق».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٨/٣) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٦٦٢- «إنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: انْطَلِقُوا إِلَى عَبْدِي، فَصُبُّوا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا، فَيَأْتُونَهُ فَيَصُبُّونَ عَلَيْهِ الْبَلَاءَ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ، فَيَرْجِعُونَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا كَمَا أَمَرْتَنَا، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (١٩٥/٨) (ح٧٦٩٧) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عُفير بن مَعدان، وهو ليس بثقة يروي المناكير عن المشاهير، بطل الاحتجاج به منكر الحديث عامة رواياته غير محفوظة كما بينا آنفًا.

٦٦٣- «دعوةُ الوالِدَةِ أسرَعُ إجابةً. قيل: يا رسول الله، ولِمَ ذاك؟ قال: هي أرْحَمُ من الأب، ودعوةُ الرَّحِم لا تَسْقُطُ».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢١٧/٢) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٦٦٤- «إنَّ الرَّجُلَ لَيَقُومُ في الصَّلاةِ فيَدْعُو الدَّعْوَةَ، فيُغفَرُ لهُ ولِمَنْ وراءَهُ من النَّاسِ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩٤/٨) (ح٦٧٩٣) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عفير بن معدان منكر الحديث ليس بثقة مجمع على ضعفه عامة روايته غير محفوظة كما بينا آنفًا.

٦٦٥- «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَلْصَقَ بِهِ الْبَلَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُرِيدُ أَنْ يُصَافِيَهُ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٦/٧) (ح٩٧٩٠)، من حديث نهشل القرشي عن سعيد بن المسيب مرفوعًا، وعلته نهشل القرشي، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٠٧٧/١٦٣/١٩): «نهشل بن سعيد بن وردان القرشي، قال أبو داود الطيالسي، وإسحاق ابن راهويه: كذاب، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال النسائي: متروك». اهـ. وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٥٢/٣): «لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ. والحديث أيضًا مرسل حيث من بعد التابعي ابن المسيب سقط.



آداب العيد وصيام الست من شوال

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فهذه بعض الأحكام المتعلقة بصيام الستة أيام من شوال والمتعلقة بعيد الفطر، أسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه، إنه قريب مجيب الدعاء.

آداب يوم العيد

١- التجمل فيه:

عن عبد الله بن عمر قال: «أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ، فَأَخَذَهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فَلَبِثَ عُمَرُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَلْبَثَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ، فَأَقْبَلَ بِهَا عُمَرُ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: إِنَّكَ قُلْتَ: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ» وَأَرْسَلْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْجُبَّةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «تَبِيعُهَا أَوْ تُصِيبُ بِهَا حَاجَتَكَ»- أخرجه البخاري (٩٤٨).

وهذا دليل على أن التجمل عندهم في هذه المواضع كان مشهورًا.

٢- الأكل يوم الفطر قبل الخروج:

عن أنس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات». وقال مرجا بن رجاء: حدثني عبيد الله، قال حدثني أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم «وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا»- أخرجه البخاري (٩٥٣).

٣- أداء الصلاة في المصلى:

عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس- والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثًا قطعه أو يأمر بشيء أمر به، ثم انصرف»- أخرجه البخاري (٩٥٦) ومسلم (٨٨٩).

قال مالك في المدونة (٢٤٨/١): «لا يصلي في العيدين في موضعين ولا يصلون في مسجدهم، ولكن يخرجون كما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى المصلى ثم استن بذلك أهل الأمصار».

قال الشافعي في الأم (٣٨٩/١): «بلغنا «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة» وكذلك من كان بعده وعامة أهل البلدان إلا أهل مكة، فإنه لم يبلغنا أن أحدًا من السلف صلى بهم عيدًا إلا في مسجدهم. وأحسب ذلك والله أعلم لأنه المسجد الحرام خير بقاع الدنيا، فلم يحبوا أن يكون لهم صلاة إلا فيه ما أمكنهم».

٤- صلاة العيدين بغير أذان ولا إقامة:

عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: «لم

يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى»- أخرجه البخاري (٩٦٠).

٥- مخالفة الطريق:

فيرجع في طريق غير الذي ذهب فيه؛ لما روي عن جابر قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق»- أخرجه البخاري (٩٨٦).

التكبير في عيد الفطر:

التكبير سنة مستحبة عند الجمهور، وأصله من الكتاب لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥)

اختلف العلماء في حده- فذهب طائفة وهم الأكثرون أنه يبدأ من ليلة الفطر عند رؤية هلال شوال واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ وإكماله يكون برؤية هلال شوال، وقالت طائفة أخرى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ يبدأ التكبير من وقت الخروج إلى الصلاة إلى أن يخرج الإمام للخطبة، وحجتهم أن التكبير يوم الفطر».

تعقيب وترجيح:

الذي أعتقده في ذلك وأرجحه هو ما ذهب إليه كثير من أهل العلم من أن التكبير في العيد سُنة مستحبة، ويبدأ ليلة الفطر عند رؤية هلال شوال؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وشيخ الإسلام.

صيغة التكبير:

عن منصور عن إبراهيم قال: «كانوا يكبرون يوم عرفة وأحدهم مستقبل في دبر الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله أكبر ولله الحمد»- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٤٩)، والإرواء (١٢٥/٣).

عن عكرمة عن ابن عباس «أنه كان يقول: الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر وأجل، الله أكبر ولله الحمد- أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦٥٤)، والإرواء (١٢٦/٣).

صلاة العيد والتكبير فيها:

صلاة العيد ركعتان بالإجماع، وصفتها المجزئة كصفة سائر الصلوات وسننها وهيئاتها كغيرها من الصلوات، وينوى بها صلاة العيد- شرح المهذب (٢٢/٥).

روى العقيلي عن أحمد أنه قال: ليس يروى في التكبير في العيدين حديث صحيح مرفوع- تلخيص الحبير (٢٠١/٢).

الآثار التي صحت في الباب:

عن نافع مولى ابن عمر أنه قال: «شهدت الفطر والأضحى مع أبي هريرة، فكبر في الركعة الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة وفي الآخرة خمس تكبيرات قبل القراءة»- أخرجه مالك في الموطأ (١٣٦/١) والمصنف لابن أبي شيبة (٥٧٠٢).

وعن عطاء عن ابن عباس «أنه كان يكبر في العيد في الأولى سبع تكبيرات بتكبيرة الافتتاح وفي الآخرة ستًا بتكبيرة الركعة كلهن قبل القراءة»- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٧٠٣).

وعن عبد الله بن الحارث قال «صلى بنا ابن عباس يوم عيد فكبر تسع تكبيرات: خمسًا في الأولى وأربعًا في الآخرة والى بين القراءتين»- أخرجه ابن أبي شيبة (٥٧٠٧).

وعن أنس رضي الله عنه «أنه كان يكبر في العيد تسعًا»- أخرجه ابن أبي شيبة (٥٧١٠). فذكر مثل حديث عبد الله.

مما سبق يتبين اختلاف الآثار عن السلف في عدد التكبيرات، وجمهور العلماء على أنها سبع في الأولى وخمس في الآخرة بعد القراءة.

هل يرفع يديه مع كل تكبيرة؟

لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح يجيز رفع اليدين مع كل تكبيرة ولا يمنع، ولكن روي ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما وقد ضعف هذا الأثر بعض أهل العلم.

وذهب الجمهور إلى رفع اليدين وهو قول أحمد والشافعي ورواية عن أبي حنيفة.

ومنع ذلك مالك وذهب إلى هذا القول ابن حزم والشوكاني.

والذي أراه – والله تعالى أعلم – أنه الصواب هو ما ذهب إليه بعض أهل العلم إلى عدم رفع اليدين مع كل تكبيرة لأنه لم يرد دليل صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفع، فالأصل في العبادة التوقف حتى يأتي دليل، وهذا قول مالك وابن حزم وغيرهما، وبالله التوفيق.

هل يصلي قبل صلاة العيد أو بعدها؟

عن ابن عباس «أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج

يوم الفطر فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها، ومعه بلال»- أخرجه البخاري (٩٨٩) ومسلم (٨٨٤).

وعن عبد الله بن عمر «لم يكن يصلي يوم الفطر قبل الصلاة ولا بعدها»- أخرجه مالك في الموطأ (١٣٦/١).

إذا فاتته صلاة العيد صلي ركعتين:

قال عطاء «إذا فاته العيد صلى ركعتين»- أخرجه البخاري معلقًا مع الفتح (٥٥٠/٢).

قال الحافظ في الفتح (٥٥٠/٢) «قوله (باب إذا فاته العيد) أي مع الإمام (يصلي ركعتين).

في هذه الترجمة حكمان:

مشروعية استدراك صلاة العيد إذا فاتت مع الجماعة سواء كانت بالاضطرار أو بالاختيار، وكونها تقضي ركعتين كأصلها.

وخالف الأول المزني فقال: لا تقضي وفي الثاني الثوري وأحمد قالا: إن صلاها وحده صلى أربعًا، ولهما في ذلك سلف.

قال ابن مسعود: «من فاته العيد مع الإمام فليصل أربعًا»- أخرجه سعيد بن منصور بإسناد صحيح.

قال إسحاق: إن صلاها في الجماعة فركعتين وإلا فأربعًا.

قال الزين بن المنير: كأنهم قاسوها على الجمعة، ولكن الفرق ظاهر، لأن من فاتته الجمعة يعود لفرضه من الظهر بخلاف العيد. انتهى

قال أبو حنيفة: يتخير بين القضاء والترك وبين الثنتين والأربع».

قال النووي في المجموع شرح المهذب (٣٥/٥): «إن الصحيح من مذهبنا أنها يستحب قضاؤها أبدًا. وحكاه ابن المنذر عن مالك وأبي ثور».

خروج المرأة الحائض يوم العيد:

عن أم عطية قالت: «كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نخرج البكر من خدرها، حتى نخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرون بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته»- أخرجه البخاري (٩٧١) ومسلم (٨٩٠).

الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد:

عن أبي هريرة قال: «بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُمْ يَا عُمَرُ»- أخرجه البخاري (٢٩٠١)، ومسلم (٨٩٣).

الحصباء: هي الحصى الصغار.

وعن عائشة «أن أبا بكر رضي الله عنه، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ في أَيَّامِ مِنًى تُدَفِّفَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى»- أخرجه البخاري: (٩٨٧).

وقالت عائشة: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ».يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ- أخرجه البخاري: (٩٨٨).

هل التهنئة بالعيد سنة؟

لم يرد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه التهنئة بالعيد، ولكن ورد عن الصحابة أنهم كانوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: «تقبل الله منا ومنكم».

عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذ التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنكم»- قال الألباني في تمام المنة (٣٥٤، ٣٥٦)، رواه المحاملي بإسناد رجاله كلهم ثقات.

سئل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٥٣/٢٤): هل التهنئة في العيد وما يجري على ألسنة الناس «عيدك مبارك» وما أشبهه، هل له أصل في الشريعة أم لا؟ وإذا كان له أصل في الشريعة، فما الذي يقال؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب: أما التهنئة يوم العيد يقول بعضهم لبعض إذا لقيه بعد صلاة العيد: تقبل الله منا ومنكم، وأحاله الله عليك ونحو ذلك. فهذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه ورخص فيه الأئمة، كأحمد وغيره. لكن قال أحمد: أنا لا أبتدئ أحداً، فإن ابتدأني أحد أجبته.

وذلك لأن جواب التحية واجب، وأما الابتداء بالتهنئة فليس سنة مأمورًا بها ولا هو-أيضًا- مما نهى عنه، فمن فعله، فله قدوة، ومن تركه، فله قدوة. والله أعلم.

صيام الست من شوال:

يستحب صيام ستة أيام من شوال لما صح عن أبي

أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر» أخرجه مسلم (١١٦٤).

ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب صيام ستٍ من شوال؛ لحديث أبي أيوب المتقدم، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وكثير من الحنفية وكثير من المالكية وداود الظاهري وغيرهم، وخالفهم في ذلك آخرون، قالوا: يكره صيام ستًا من شوال حتى لا يلحق بالفريضة فيظن وجوبها، وهذا مذهب مالك، وأبي حنيفة.

أقوال أهل العلم:

ودليل الشافعي وموافقه هذا الحديث الصحيح الصريح، وإذا ثبتت السنة لا تترك لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها، قولهم: قد يظن وجوبها، ينتقض بصوم عرفة وعاشوراء وغيرهما من الصوم المندوب.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٣/٣٨٠): «لم يبلغ مالكًا حديث أبي أيوب على أنه حديث مدني والإحاطة بعلم الخاصة لا سبيل إليه والذي كرهه له مالك أمر قد بينه وأوضحه، وذلك خشية أن يضاف إلى فرض رمضان وأن يستبين ذلك إلى العامة وكان- رحمه الله - متحفظًا، كثيرَ الاحتياط للدين. وأما صيام الستة الأيام من شوال على طلب الفضل وعلى التأويل الذي جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه فإن مالكًا لا يكره ذلك إن شاء الله».

هل تصام الستة أيام من شوال متوالية عقب يوم الفطر أم متفرقة؟

يجوز صيام الستة أيام من شوال متفرقة أو متتابعة في أول الشهر أو آخره، لأن الحديث ورد مطلقًا، وهذا مذهب جمهور أهل العلم.

جاء في شرح غاية المنتهى (٣/١٣٦): «وسن صوم ستة أيام من شوال ولو متفرقة، والأولى تتابعها».

قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص: ٢٩٧): «إنه لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله، وهما سواء وهو قول وكيع وأحمد».

جاء في المجموع شرح المهذب (٦/٤٢٧): «قال النووي: يستحب صوم ستة أيام من شوال لهذا الحديث، قالوا: ويستحب أن يصومها متتابعة في أول شوال، فإن فرقها أو أخرها عن أول شوال جاز وكان فاعلاً لأصل هذه السنة لعموم الحديث وإطلاقه».

هل يجوز صوم الستة من شوال قبل قضاء صيام رمضان؟

لم يرد في هذه المسألة نص من كتاب أو سنة ولم ينعقد الإجماع على شيء صريح، ولكن بعض أهل العلم قالوا: لا يجوز صيام الستة أيام من شوال قبل قضاء رمضان وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال» أخرجه مسلم (١١٦٤) قالوا: الذي عليه صوم من رمضان لا يقال له صام رمضان لأنه لم يكمل عدة رمضان فلا يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال.

ويرد على هذا القول من عدة وجوه:

الأول: أن صوم رمضان معلق في ذمته، فإذا صام ستًا من شوال ثم قضى ما عليه من صوم رمضان قبل دخول رمضان آخر فقد برئت ذمته وحصل له ثواب صوم الدهر كما جاء في الحديث، وأيضًا الحديث ليس فيه تصريح أن القضاء يكون أولا ثم صوم الستة ثانيًا، ولكن جاء في الحديث: «من صام رمضان» والذي يؤجل قضاء رمضان بعد أن يصوم الستة ثم يقضي ما عليه قبل دخول رمضان آخر ينطبق عليه أنه صام رمضان.

الثاني: من أفطر أكثر رمضان لعذر مرض أو نحوه وأراد أن يصوم ستًا من شوال ليحصل على ثواب صوم الدهر، فإذا قلنا له: اقض ما عليك ثم صم الستة فقد يكون في ذلك مشقة كبيرة على بعض الناس.

أيضًا من أفطر رمضان كله لعذر وقلنا له: اقض ما عليك من صوم رمضان أولا، ثم صم الستة فلم يستطع بأي حال من الأحوال؛ لأن قضاء رمضان استحوذ على شوال كله وبذلك يفوته فضل صوم الستة.

الثالث: ثبت عن عائشة رضي الله عنها كما جاء في الصحيحين، أنها كانت تقضي ما عليها من رمضان في شعبان، ويبعُد عن عائشة رضي الله عنها أن تترك صوم الستة من شوال ويوم عرفة ويوم عاشوراء وصيام الاثنين والخميس وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ونحو ذلك من صيام التطوع، فهذا دليل على جواز صيام التطوع قبل قضاء رمضان، ومن ثَمَّ جواز صيام الستة من شوال قبل قضاء رمضان، وإن كان الأفضل تقديم القضاء على صيام الست من شوال، والله تعالى أعلم بالصواب.



الثبات على الطاعات وترك المنكرات بعد رمضان

إعداد الشيخ د: علي عبد الرحمن الحذيفي

إمام المسجد النبوي

الحمد لله العزيز الغفور، فمن اتقاه وقاه الله الشرور والمكروهات، وأسبغ عليه في الدارَيْن الخيرات.

أيها المسلمون: ألا أخبركم بخير الناس، وأعظم العابدين أجرًا، وأفضلهم عند رب العالمين ذكرًا؟! هو من أتبَع الحسنات الحسنات، وحفظ نفسه بحفظ الله ومعونته وتوفيقه من المحرمات، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت: ٣٠).

ويلي هذا في الفضل: من أتبَع السيئة الحسنة، فعمل الحسنة بعد السيئة يمحوها ويقي من عقوباتها في الدنيا والآخرة، ويثقل بها ميزان العبد عند الله تعالى، فمن رحمة الله وفضله وعدله أن يحفظ لعباده مثاقيل الذر من فعل الخير والعمل الصالح، ويُضاعف لهم ذلك ليُعينهم ويُؤهِّلهم لدخول جنات النعيم، قال الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء: ٤٧)، وقال-عز وجل-: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ٤٠).

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إن الله كتب الحسنات والسيئات، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، فإن عملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، فإن عملها كتبها الله عنده سيئةً واحدةً". رواه البخاري ومسلم.

عباد الله: اعلموا أن الله-عز وجل- لا يمحو السيِّئَ بالسيِّئ، ولكن يمحو السيِّئَ بالحسن، كما قال الله-عز وجل-: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (هود: ١١٤)، وسبب نزول هذه الآية: أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبيَّ-صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية، فقال: يا رسول الله: ألهذا خاصة؟! قال: "بل للناس كافة". رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود-رضي الله عنه-.

وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "اتق الله حيثما كنتَ، وأتْبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِق الناس بخُلق حسن". رواه الترمذي.

ولله-عز وجل- الفضل والمنُّ أن جعل ديننا يُسرًا، وشرع لنا أبوابًا من الخير، وطرقًا للأعمال الصالحات كثيرة، ليستكثر المسلم من أعمال البرِّ بما يقدر عليه، وما يُناسب استعداده وحاله بعد أداء الفرائض، كما قال النبي-

صلى الله عليه وسلم-: "إن هذا الدين يُسر، فأوغلوا فيه برفق، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقارِبُوا وأبشروا".

وكما أن الحسنة بعد الحسنة زيادةٌ في الثواب، والحسنات بعد السيئات يمحُو الله بهنَّ الخطيئات، فكذلك السيئات بعد الطاعات قد تُحبط الحسنات، كما قال الله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟) (التوبة: ٧٤)، وكما قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ) (التوبة: ٦٥، ٦٦)، وقال-عز وجل-: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (المنافقون: ٣).

وعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا". رواه أبو داود والترمذي.

فهذه الأدلة أفادت أن من المعاصي ما يُحبط العمل، فاحذر-أيها المسلم- من كل ما يُحبط الأعمال الصالحات، وحافظ على طاعتك بدوام الاستقامة، والله تعالى قال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ) (محمد: ٣٣).

وللمعاصي بعد الطاعات ضررٌ آخر دون إحباط الأعمال، وضررها: أنها تُنقصُ ثواب الأعمال الصالحة، كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "من اقتنى كلبًا نقص من أجره كل يوم قيراط إلا كلب صيد".

معشر المسلمين: كنتم في رمضان الذي أنعم الله عليكم فيه بكل الخيرات، وصفَت لكم فيه الأوقات، وحُزْتم فيه على أعظم الأجور، وتلذذتم فيه بطاعة ربكم الرحيم الغفور، فلا تُبدِّلوا صالح أعمالكم بالعصيان، ولا تُنقصوا ثواب قُرباتكم بطاعة الشيطان، فقد كنتم في حصنٍ من شره بالصيام والقيام، وبعدَ الصوم يريد أن يدعو من استجاب له إلى هوان الذنوب والخسران، فاحذروه بالاعتصام بالقرآن والالتجاء إلى الرحمن.

ومن كان مُحسنًا في شهر الصيام فليحمد الله كثيرًا، فلله الفضل والمنة أولاً وأخيراً على عباده، وليَدُم على طاعة ربه حتى الموت، فقد ذكروا عن السلف أنهم كانوا يسألون الله ستة أشهر أن يُبلِّغهم رمضان، ويسألون الله ستة أشهر أن يتقبَّل منهم رمضان، وكانوا على استقامة في جميع الشهور والأعوام على الدوام.

قيل لبشر الحافي-رحمه الله-: إن قومًا يجتهدون في رمضان، فإذا ذهب تركوا، فقال: "بئس القوم؛ لا يعرفون الله إلا في رمضان".

وأما من فرَّط وأساء فيما مضى من العُمر فليتقرَّب إلى ربه بالتوبة الصادقة، وليُقبل على عبادة الله تعالى، فهو ربُّ الشهور وربُّ العباد، ولا يحول بين العبد وربِّه زمانٌ ولا مكان، قال الله تعالى: (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ) (طه: ٨٢)، وقال تعالى: (فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (هود: ١١٢)، وقال-تبارك وتعالى-: (وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (الزمر: ٥٤).

فاتقوا الله تعالى بامتثال أمره الأكيد، واعلموا-عباد الله- أن الشياطين في رمضان كانت عنكم مُصفَّدة، وبعد رمضان تتمكَّن في غيره ما لا تتمكَّن في رمضان، والشيطان خبيرٌ بطرق الخير وفضائل الأعمال، يدعو الإنسان بمكره وخداعه أن يأتي بما يُضادَّ الأعمال الصالحة، أو يُنقِص ثوابها، ولكن المسلم قويٌّ بتوكُّله على الله، وإيمانه بوعد الله، والله قال: (إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء: ٧٦)؛ فردُّوا الشيطان خائبًا حسيرًا، فهو حريصٌ أن يأخذ بثأره منكم ليجعل الأعمال هباءً منثورًا، واستديموا نعَم العبادات عليكم في أيام أعماركم كلها.

إخوة الإسلام: إن أوامر القرآن كثيرةٌ في الدعوة إلى الاستقامة على التقوى، والاستمرار على الهُدى، يقول ربُّنا-جل وعلا-: (فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟) (هود: ١١٢).

وصايا عظيمة ربَّانية تتضمَّن الأمرَ بالإقامة على أمور الإسلام، والتزام منهج الدين، والاستمرار في التقيُّد بقيوده، والوقوف عند حُدوده، والاستجابة لأوامره والانتهاء

عن زواجره على الوجه الأكمل والطريق الأقوم.

ورسولنا-صلى الله عليه وسلم- يُوصي أمَّته بوصية عظيمة ذات عبارات وجيزة جميلة المعنى قليلة المبنى، إنها وصية تقتضي لزوم الاعتقاد الصحيح، والتمسُّك بالصبر على الطاعات واجتناب المنهيَّات.

جاء سُفيانُ بن عبد الله الثَّقفي إليه-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله: أوصني، وقل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، فقال: "قُل: آمنتُ بالله، ثم استقِم". والحديثُ في صحيح مسلم.

إنها وصايا في القرآن والسنة تكفل العيشة الرضيَّة، وتضمنُ الحياة الطيبة والسعادة الأبدية، يقول ربُّنا-جل وعلا-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأحقاف: ١٣، ١٤).

فيا إخوة الإسلام: إنه ينبغي على من تفضَّل الله عليه بالمسارعة إلى الخيرات في رمضان أن يحمَد الله-جل وعلا- وأن يشكره حقَّ الشكر، ثم عليه أن يسير على الطريق المستقيم، وأن يزداد تقرُّبًا إلى المولى العظيم، وأن يكون حذرًا أشدَّ الحذَر من إهداء حسناته لغيره، أو أن يبُوءَ بفعله القبيح أن يبُوءَ بسيئات غيره، وذلك لا تحصل السلامة منه إلا بأن يصُونَ لسانَه عن أعراض المسلمين، وأن يكون حذرًا أشدَّ الحذَر من أذيَّة المؤمنين، وأن يتحلَّل من حقوق ومظالم المسلمين.

في صحيح البخاري عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه من عرْض أو من شيء فليتحلَّلْهُ منه اليومَ قبل أن لا يكون درهمٌ ولا دينار، إن كان له عمل صالحٌ أخذ منه بقدر مظلَمته، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه".

وفي صحيح مسلم أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "إن المُفلسَ من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكل مال هذا، وضربَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار".

فالسلامةَ السلامةَ، والحذَرَ الحذَر-أيها المسلم-، فرسولنا-صلى الله عليه وسلم- يقول: "المسلمُ من سلِمَ المسلمون من لسانه ويده".

ولهذا جاء في حديث سفيان-في رواية عند الترمذي، وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ-، أن سفيان حينما طلبَ هذه الوصية من النبي-صلى الله عليه وسلم- قال له: يا رسولَ الله: ما أخوفُ ما تخاف عليَّ؟! فأخذ رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم- بلسان نفسه الشريفة، ثم قال: "عليك هذا".

فكُن-يا أيها المسلم- حافظًا لجوارحك، واحفظ أعمالكَ الصالحة حتى تلقى الجزاءَ الحسن عند الله-جل وعلا-، وذلك لا يكون إلا بالاستقامة على طاعة الله، ولهذا أمر الله-جل وعلا- نبيَّه بقوله: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

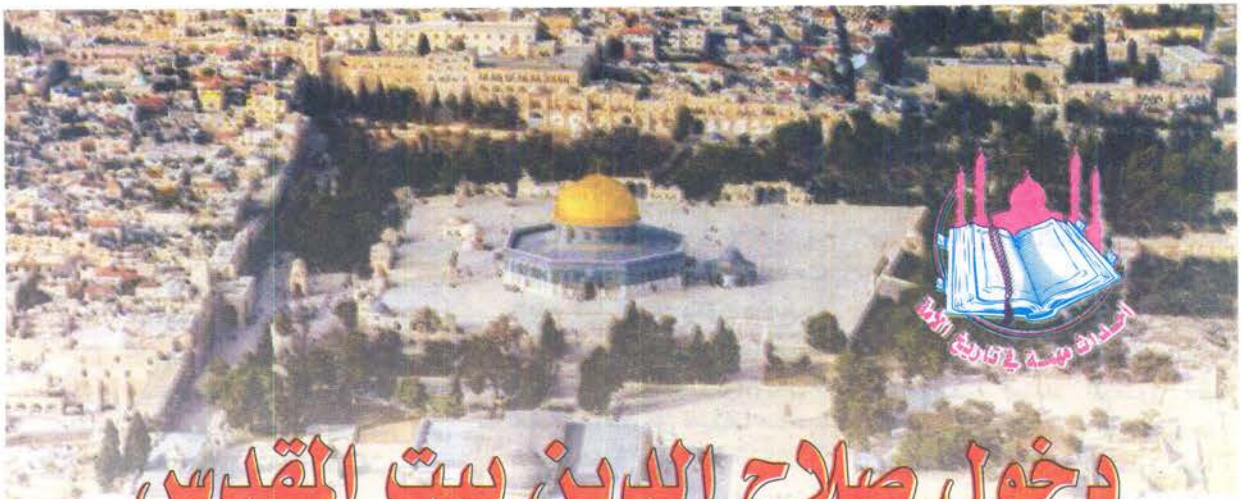
أيها المسلمون: لقد تفضَّل عليكم ربكم سبحانه، فشرع لكم من النوافل ما هو من جنس الفرائض ليزداد المؤمنون من ثواب الله، فاشكروا الله على ما هداكم وشرع لكم من طرق هذا الدين ومن أحكامه، فإنه أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان، فاعمُروا أوقاتَكم بطاعة الله-جل وعلا-، ولا تشغلنَّكم مطالبُ الحياة الفانية عن حقائق الآخرة الباقية؛ فإن الفلاحَ والظَّفر إنما هو في الاستقامة على طاعة الله-جل وعلا- إلى الممات، كما كان عليه نبيُّنا محمد-صلى الله عليه وسلم-.

ثم إنه قد صحَّ عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من صامَ رمضان ثم أتبَعهُ ستًّا من شوَّال فكأنما صامَ الدهر كلَّه".

ولهذا ذهب جمهورُ أهل العلم إلى استحباب صيام ست من شوَّال، سواءٌ أكانت مُتفرِّقةَ أم مُتتابعة، إلا أنه من كان عليه صومٌ واجبٌ فإنه لا ينبغي أن يُقدِّم عليه غيرُه من التطوُّعات؛ لما عليه قاعدةُ الشريعة: أن الواجبَ أَوْلى وآكد من غير الواجب.

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقد قال-صلى الله عليه وسلم-: "من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشرًا". فصلُّوا وسلِّموا على سيد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.



دخول صلاح الدين بيت المقدس بعد أن فتحه الله له

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد، فقد تحدثنا عن دخول الصليبيين بيت المقدس ونتناول اليوم دخول صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس ويضم حديثنا بعون الله في هذا الموضوع محاور:

المحور الأول: أسباب سقوط بيت المقدس:

لم يكن سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين بسبب قوتهم بقدر ما كان بسبب ضعف المسلمين وتفككهم وضعف الحُكام، وسوء الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولنترك للمؤرخين وصف هذه الأحوال فيما يلي: قال الدكتور ماجد كيلاني في كتابه: «هكذا ظهر جيل صلاح الدين»: «احتاجت عملية تحرير الأقصى إلى جهود ضخمة، ولم تكن الحاجة إلى كل هذه الجهود المخلصة إلا بسبب تردي أحوال المسلمين قبيل الغزو الصليبي على كل الأصعدة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية»، ثم أخذ يشرح لنا هذه الأسباب واحدًا بعد الآخر، وقال المؤرخ أبو شامة في كتابه «الروضتين» (ص٧): «كان الناس في هذا الزمان كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه». اهـ بتصرف يسير.

ويقول الرحالة ابن جبير عن أهل المشرق: «وما سوى ذلك مما بهذه البلاد الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة إلا من عصمه الله عز وجل من أهلها». (رحلة ابن جبير ص٥٥).

المحور الثاني: جهودٌ مباركة سبقت صلاح الدين وهيأت لظهوره:

مما لا شك فيه أن الأمة وهي بهذا التردي لا يمكنها مواجهة أعدائها ولا استخلاص أوطانها من براثن الاحتلال وهي تحتاج لإصلاح أحوالها إلى جهود رجال عبر أجيال، وهذا هو الذي حدث، وقيل إن الحديث عن جهود صلاح الدين لا بد من الإشارة المنصفة إلى جهود من سبقه في هذا المضمار، وإلى المعين الذي أخذ منه صلاح الدين، فما صلاح الدين رحمه الله إلا غرس من غراس من سبقه ومن أبرزهم نور الدين محمود زنكي، وقد كان نعم الخلف لأبيه عماد الدين زنكي، «وقد تربى نور الدين محمود منذ صغره على القرآن الكريم والفروسية، حيث كان والده قد أوكله إلى أحد العلماء ليتولى تربيته، فلما شبَّ كان مرافقًا لأبيه في جهاده، وخبر في هذا المجال، فكان رجلاً صالحًا ومجاهدًا في الوقت نفسه». (الكامل لابن الأثير: ١١/١١٤).

ولما آل الأمر إليه كان كثير الاهتمام بوحدة الأمة الإسلامية؛ فكان كثيرًا ما يتمثل بقوله تعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» (الأنفال: ٤٦). (انظر: سير أعلام النبلاء).

وذكر أيضًا الذهبي رحمه الله: «أن نور الدين بذل جهودًا كبيرة في تنقية الصف الإسلامي ووجه أكبر جهده لأهل التشيع والإسماعيليين ومنعهم من سب الصحابة وأبطل كلمة: «حي على خير العمل» من الأذان وما معها من زيادات في الأذان وضيق عليهم فحاولوا التحالف مع الصليبيين ضده كما قام نور الدين بدعم السنة دون التعصب لمذهب فقهي معين». (سير أعلام النبلاء).

«كما سعى رحمه الله لإزالة المظالم فقد بنى دارًا للعدل كان يجلس فيها يومين في الأسبوع للنظر في مظالم الرعية؛ فخشيه الأمراء والقواد وأصبحوا لا يظلمون الناس شيئًا مما زاد في ترابط المجتمع المسلم». (الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/٥٣٦).

والحديث عن نور الدين محمود وجهاده يطول لكننا نختصر القول لنصل للمطلوب، يقول الدكتور عبد العزيز العمري في كتابه الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط دار إشبيليا ١٤١٩هـ: «توفي نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله في شوال سنة ٥٦٩هـ بعد أن روى غرسة الجهاد التي غرسها والده بدماء الشهداء وعرق المجاهدين وجراحهم، وبعد أن غرس نور الدين غرسة جديدة حملت راية الجهاد في مصر صلاح الدين جنديًا جديدًا من جند الجهاد الإسلامي». اهـ.

وهكذا تعاقبت أجيال على الجهاد حتى ظهر جيل صلاح الدين الذي حمل الأمانة بصدق ووفى بالعهد «وكان من أهم الوصايا التي أوصى بها نور الدين قبل وفاته صلاح الدين هي القضاء على الدولة الفاطمية في مصر؛ لأنها حاربت دولة الخلافة، وناصرت أعداء الأمة ونشرت البدعة والضلالة». (من كتاب صلاح الدين رؤية معاصرة).

المحور الثالث: أهم الإصلاحات التي قام بها صلاح الدين

كان صلاح الدين أحد الجنود الأكراد المرافقين لعمه أسد الدين شيركوه في الحملة التي وجهها نور الدين محمود من الشام إلى مصر سنة ٥٥٨هـ، وأبلى بلاءً حسنًا أثناء حصار الفرنج للإسكندرية سنة ٥٦٢هـ. (راجع الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير).

وبعد وفاة عمه اختير وزيرًا في الدولة الفاطمية ونجح في تثبيت سلطته بالتدريج وبالتعاون مع بقية قواد نور الدين محمود، ما بسط سلطانه ولم يعد في البلد من يعارضه حتى أصبح الخليفة الفاطمي العاضد بالله لا يجد من يستعين به لو خالف صلاح الدين، وحاول صلاح الدين إعادة دولة الخلافة العباسية السنية والقضاء على الدولة الفاطمية حتى تم له ذلك بوفاة العاضد بالله الفاطمي سنة ٥٦٧هـ، وعمت الفرحة العالم الإسلامي بالقضاء على الدولة الفاطمية تلك الدولة التي تآمرت مع أعداء المسلمين وتعاونت معهم وحاربت الدولة العباسية في بغداد ونور الدين في الشام. (راجع مفرج الكروب لابن واصل).

المحور الرابع: جهود صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس

إن الجهود التي بذلها صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس كثيرة وأخذت منه سنين طويلة نستطيع تلخيصها فيما يلي:

١- القضاء على الدولة الفاطمية والحركات الباطنية لما لها من أثر سيئ في دين ودنيا الناس ولتعاونها مع أعداء الأمة.

٢- الاهتمام بالعلم وتشجيع العلماء على محاربة الأفكار الضالة وإعادة الأمة إلى وحدتها على الكتاب والسنة. (محمد العبدة من كتاب أيعيد التاريخ نفسه؟).

٣- بناء المساجد والحصون والأسوار والأوقاف ورعاية الأيتام والفقراء وضبط القضاء وإعادة سلطانه. (المصدر السابق).

٤- الاهتمام بتولية القيادات ذات العلم الشرعي الصحيح.

٥- الاهتمام بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، فأزال الضرائب عن كاهل الناس والتزم جانب الشرع فيها وازدهرت الحياة، واهتم رجال صلاح الدين وعماله على الأقاليم بإعمار المدن وتركوا حياة الترف وأقاموا المنشآت الهامة والمفيدة وخزانات المياه وإقامة الجسور. (من كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين، للدكتور ماجد كيلاني).

٦- ووجَّه صلاح الدين عناية خاصة بالصناعات الحربية ودعمها، ومن ذلك إنشاء

ديوان للأسطول البحري ودور لصناعات السفن في القاهرة والإسكندرية، ودمياط. (المصدر السابق).

المحور الخامس: جهاد صلاح الدين في الطريق إلى القدس (معركة حطين):

خاض صلاح الدين معارك كثيرة مع الغزاة على جبهات متعددة في سنوات مديدة، لكن معركة حطين وبعد أن أنعم الله على المسلمين بالنصر الحاسم فيها كانت هي الطريق المباشر لبيت المقدس والبوابة التي دخل منها صلاح الدين والمسلمون مدينة القدس.

قال ابن واصل في مفرج الكروب: «أصبح الطريق ممهدًا أمام صلاح الدين للتوجه إلى بيت المقدس بعد حطين مباشرة؛ حيث كان ملكها ومعظم قواده أسرى لديه كما أن الممالك الأخرى كانت مهمومة بما أصابها من هزيمة في حطين، ولكن صلاح الدين آثر أن يتوجه ليقوم ببعض الخطوات العسكرية في محيط بيت المقدس لتأمين دخول المسلمين إليها».

وكنا نأمل بسط الحديث في تفاصيل المعارك التي خاضها صلاح الدين والمسلمون وما منَّ الله عليهم من نصر، لكن المكان لا يسع والوقت لا يكفي، ويكفي أن ننقل شهادة مؤرخ من الأعداء بنتيجة معركة حطين، قال انتوني يرج في كتابه الحروب الصليبية: «وكانت معركة حطين نكبة لا مثيل لها بالنسبة للمسيحيين في الممالك الصليبية؛ فقد هُزم جيشهم ولم يبق من الرجال المقاتلين سوى المنتشرين في الباحات والمدن والقلاع، وبدأ صلاح الدين يطهر بقاياهم وقد تم أسر العديد من الصليبيين، إلى درجة أنهم أصبحوا فيضًا في أسواق النخاسة في العالم الإسلامي». اهـ بتصرف يسير.

المحور السادس: دخول بيت المقدس:

«وصل المسلمون إلى أسوار القدس الغربية يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ٥٨٣هـ، وكانت المدينة محصنة تحصينًا عاليًا وبها من المقاتلين ما يزيد على ستين ألفًا معظمهم أهل خبرة ومقاتلة». ابن الأثير في الكامل.

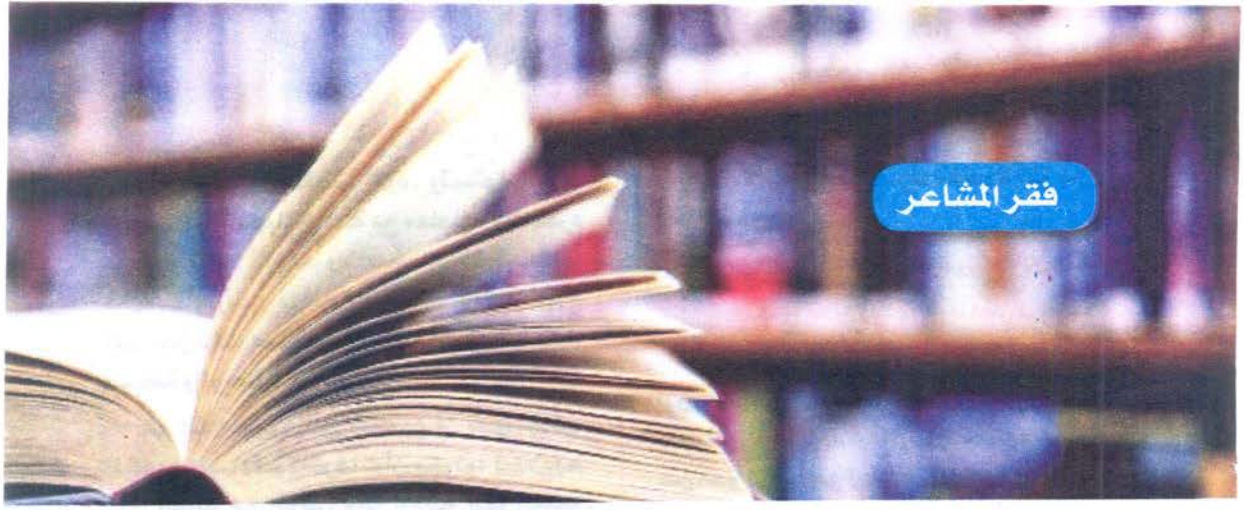
وحاصر المسلمون المدينة من كل الجهات وذكر صلاح الدين القوم بما فعلوه بالمسلمين من أكثر من تسعين عامًا حتى ظن القوم أنهم ملاقو المصير ذاته ويئسوا من النصر وتيقنوا الموت وهموا بحرق المدينة وقتل من عندهم من أسرى المسلمين وعندها استشار صلاح الدين القواد والعلماء فأشاروا عليه بتأمين خروج المحاصرين مقابل مبلغ من المال يدفعه كل واحد منهم ويُسمح له بالخروج آمنًا، ويُعطي الناس مهلة أربعين يومًا لمن أراد الخروج منهم بهذه الشروط، وتم تسليم المدينة إلى المسلمين في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ٥٨٣هـ الموافق ١١٨٧/٢٢/٢م، وكان يومًا مشهودًا علا فيه صوت التكبير، والتهليل، والتحميد.

وفي الجمعة التالية أقيمت صلاة الجمعة الأولى في المسجد الأقصى بعد تطهيره، وصعد الخطيب يخطب الجمعة على المنبر الذي كان قد أعده نور الدين محمود لهذه المناسبة التي كان يعمل لها ثم أتمها الله على يد صلاح الدين ومن معه، وبعد هذا الفتح المبين وفى المسلمون للنصارى بعهودهم وأخرجوا من أراد بالشرط المتفق عليه وبقيت كنائسهم على ما هي عليه سوى ما أخذوه من مساجد المسلمين، وقد خرج كثير من كبرائهم بأموالهم ولم يرفعوا عن ضعفائهم وعلى رأس هؤلاء بطريق القدس وجمعٌ كثير من رجال الدين النصارى وقد بذل بعض المسلمين من أموالهم فدية للنصارى الضعفاء الذين لم يتكلفوا من دفع المبلغ المستحق لكي يخرجوا.

وكان صلاح الدين رحمه الله رحيمًا بالضعفاء والأرامل وأعزة القوم الذين أذلهم الله، ويذكر ابن واصل في كتابه وغيره من المؤرخين صورًا لنبل وسمو أخلاق صلاح الدين في تعامله مع أعدائه وهي صور مشرقة. (صورة الإسلام الحق).

ألا فليقرأ المسلمون تاريخهم وليقارنوا بين ما فعله الإسلام حين دخل بيت المقدس أيام عمر رضي الله عنه وأيام صلاح الدين رحمه الله وبين ما فعله النصارى حين دخلوا القدس في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وكذلك ما فعله اليهود في العصر الحديث حين دخلوا فلسطين وما يفعلونه إلى اليوم، وفيما تقدم بيان لأسباب النصر وأسباب الهزيمة على مر التاريخ فليتأمل المتأملون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فقر المشاعر بين الطلاب والمعلمين

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

الطلاب والمعلمون يمثلان شريحة كبرى من الناس، فأكثرهم ما بين مُعلِّم ومتعلِّم، أو من قد كان كذلك.

ولا ريب أن هذا الميدان من أرحب الميادين للقاء والتأثير والفائدة سواء للأفراد أو للأمة.

ومع ذلك تجد أن لغة المشاعر تكاد تضمر عند بعض المنتسبين إلى هذا الميدان العظيم؛ فترى من بعض الطلاب قلةَ احترام للمعلمين، وتجد فيهم من يطلق لسانه في ثلبهم وعيبهم، وتجد مَن لا يحسن التعامل، ولا عرض السؤال، ولا التأدب بأدب التلقي عمومًا؛ فربما تأخر عن الدرس، وربما أحرج أستاذه بالأسئلة التي لا يريد من ورائها إلا التعنُّت، وربما أشاح بوجهه عن المعلم وهو يلقي الدرس، وربما اشتغل عن الدرس بجريدة أو كتاب أو محادثة مع زميل، والمعلم يراه وهو على هذه الحال.

فهذه مظاهر توحي بأن من يقع فيها لم يعرف حق العلم، ولم يتأدب بأدب أهله.

وهي- في الوقت نفسه- تُوهي حبال الود بين المعلمين والطلاب.

وكذلك تجد عند بعض المعلمين تعسفًا وشدة خارجة عن طورها، فتراه لا يلقي للطلاب بالاً، ولا يخاطبهم إلا بعبارات الاحتقار والتنقص والجفاء.

وما هكذا تورد الإبل، وما هكذا تكون العلاقة بين الطلاب ومعلمهم.

وإذا سارت على هذا النحو فما المنتظر من الجيل الذي يتربى على تلك المعاملة؟!

ولهذا فإنه جدير بالطلاب تبجيل معلميهم، واحترامهم، وإن كانوا ناقصين في نظرهم؛ فخذ- أيها الطالب- ما عند معلمك من خير، وعليك بتوجيهه، والدعاء له، والثناء عليه، وإلا فلا أقلَّ من أن تُقْصِرَ عن ذمِّه وعيبه.

ثم إذا أردت نقاشه في موضوع ما فليكن ذلك بأدب، وحسن تأتٍّ بعيدًا عن رَفع الصوت أو الإسفاف.

ثم إذا وقع معلمك في خطأ ما، وأردت لفت نظره إلى ذلك- فلا تقل له: أخطأت، أو نحو ذلك، ولا تفرح بخطئه، وإنما تأكد من ذلك، وليكن تنبيهك بأجمل عبارة، وألطف إشارة يدرك بها المعلم خطأه دون أن تشوش عليه قلبه.

ثم الزم أدب الطلب معه، فلا تقاطعه إذا تحدث، ولا تنشغل عنه إذا شرع في الدرس.

وإذا أردت أن تكسب الود، وتستولي على الأمد- فراع أدب المحادثة مع معلمك؛ فإذا شرع في حديث فلا تكملْه، وإذا عجَّبَك فاعجب، وإذا فكَّهك فاطرب، وإذا أفادك بفائدة فأظهر الفرح إلى غير ذلك مما تستجلب به المحبة، وتطرد السآمة والوحشة.

ثم إنه حقيقٌ على المعلمين أن يعوا جانب المشاعر الصادقة وأثرها، وأن يكونوا لطلابهم مثل الوالد مع الولد، فإذا أردت- أيها المعلم- أن يحبك طلابك فأحببهم، وإذا رغبت بأن يعاملوك وكأنك أب لهم فعاملهم وكأنهم أبناء لك، فإن من الطباع اللازمة للطلاب أنهم يحبون من يتحبب إليهم، ويميلون إلى من يحسن إليهم، ويأنسون بمن يعاملهم بالرفق، ويقابلهم بالبشاشة والبشر، فما لم يشعر الطالب أن معلمه يحبه، ويحب الخير له فلن يُقبل على التلقي منه، ولو أيقن أن الخير عنده، وأي خير يمكن أن يتم بغير حب؟

فجدير بالمربي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوس طلابه من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر كلفة، وأن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، أن يتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويحادثهم بلطف وبشاشة، ويظهر لهم من الحنان والعطف ما يحملهم على محبته، فإذا أحبوه أطاعوا أمره، وإذا أطاعوا أمره وصل في توجيههم في الصالحات إلى ما يريد، وتمكن من حملهم على الاستقامة، وطَبْعهم على الخير والفضيلة.

فإذا ملك نفوسهم بهذه الطريقة حبب إليهم المدرسة، والقراءة والعلم، فالطالب لا يفلح في التربية، ولا ينجح في الدراسة إلا إذا أحب معلمه حبّه أبويه، وأحب المدرسة حبه بيته، وكثيراً ما ترى من الطلاب الذين يربيهم معلموهم على هذه الطريقة الحكيمة يباهي أحدهم ترِبَه بقسْمه ومعلمه، ويباهي زميله من مدرسة أخرى بمدرسته كما يتباهون في العادة بالآباء والبيوت، وما ذلك إلا أثر من آثار المعاملة من المعلم.

هذا ومما يرسخ المحبة وينميها بين المعلم وطلابه زيادة على ما مضى ما يلي:

أ- العناية بمصالح الطلاب وأحوالهم؛ قال ابن جماعة- رحمه الله-: (وينبغي أن يعنى بمصالح الطالب)، وقال: (ويؤنسهم بسؤالهم عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم).

ب- الصبر على بعض ما يصدر من الطلاب؛ فإن لذلك أثراً في محبة الطلاب لمعلمهم، إذ يدركون أن ذلك نابع من محبته لهم، وشفقته عليهم.

قال الإمام النووي-رحمه الله-: (ويجريه مجرى ولده في الشفقة عليه، والصبر على جفائه، وسوء أدبه، ويعذره في سوء أدب وجفوة تعرض منه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص). (تذكرة السامع ص٨٩).

ج- احترام الطلاب ومراعاة مشاعرهم؛ فالمعلم النبيل ذو المروءة والأدب هو من يحترم طلابه، ويراعي مشاعرهم، فلا يؤذيهم بكلمة، أو إشارة، بل يحفظ عليهم عزتهم وكرامتهم طالما أنهم يسيرون على حد الأدب.

قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: (أعز الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس إليّ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق عليَّ) (عيون الأخبار ١/٣٠٧).

ولقد كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أكرم الناس لجلسائه، فقد كان يعطي كل واحد منهم نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه.

د- التعرف على أسماء الطلاب؛ لأن ذلك يشعرهم بقيمتهم واعتبارهم.

قال ابن جماعة- رحمه الله-: (وينبغي أن يستعلم أسماءهم، وأنسابهم، ومواطنهم، وأحوالهم). (تذكرة السامع ص١٠٠).

هـ- مخاطبتهم بكناهم وأحب الأسماء إليهم؛ وفي هذا مزيد احترام وتقدير لهم.

قال ابن جماعة: (وينبغي أن يخاطب كلا منهم ولا سيما الفاضل المتميز بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه، وما فيه له تعظيم وتوقير، فعن عائشة- رضي الله عنها- (كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يكني أصحابه، إكراماً لهم) (تذكرة السامع ص١٠٧).

و- استشارتهم ببعض الأمور؛ فذلك مما يزرع الثقة في نفوس الطلاب، ومما ينمي الألفة والمحبة بينهم وبين معلمهم.

ز- معرفة الطبائع وفهم العقليات؛ فبذلك تعامل الطالب بما يوائمه، وتعالجه بالدواء الذي يلائمه.

ح- صفاء السريرة للطلاب؛ فإذا كان المعلم صافي السريرة سليم الصدر للطلاب أحبه الطلاب، وعلموا منه الإخلاص لهم، والرحمة بهم، ولو كان يؤدبهم ويعاقبهم على أخطائهم.

فلا ينبغي أن يستهان بإضمار المحبة للطلاب والشفقة عليهم، بحجة أنهم لا يدركون ذلك. لا، بل إنهم يدركون ويميزون، ويلحظون ذلك من نظرات العيون.

هذه بعض الأمور التي تحبب المعلم لطلابه، وتحببهم به، فإذا أحببت الطلاب وأحبوك وجدت سعادتك بينهم أكثر مما تجدها في البيت وبين الأصحاب.

وإليك نبذة عن أحوال المعلمين مع الطلاب، وأحوال الطلاب مع المعلمين فقد روى الذين دوّنوا ترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات، أنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد بن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقي العلم عنه نضح على وجهه من الماء، ليجدد له نشاطه، شفقة منه عليه، ورغبة منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

حصلت الباحثة الدكتوره إيمان السيد أحمد محمد عفيفي، على درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف من كلية الطب جامعة الزقازيق، وذلك في الرسالة المقدمة بعنوان: «تقييم مستويات الزنك في الدم للأطفال ذوي الحالات الحرجة»، وقد تكونت لجنة التحكيم على الرسالة والمناقشة من كلٍ من:

أ.د/ شريفة عبد العزيز حسن.

أ.د/ نهاد أحمد كرم.

أ.د/ غادة سعد عبد المطلب.

أ.د/ داليا عبد اللطيف.

أ.د/ إيمان عبد القادر عبد السلام.

وأسرة مجلة التوحيد تهنئ الأخت الباحثة، وتتمنى لها مزيدًا من التوفيق والرقي والتقدم.

رئيس التحرير

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

العمل الصالح كفارة للذنوب

قال تعالي : «وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »

(١١٤-١١٥) هود

من أقوال السلف

قال ابن قتيبة: يقال: أربع لا يأنف منهن الشريف: قيامه عن مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه وإن كان له مائة عبد، وخدمته العالم ليأخذ من علمه.

عيون الأخبار

من معاني الأحاديث

في حديث معاوية بن الحكم السلمي " فبأبي هو وأمي ما ضربني ولا شتمني ولا كهرني " (أخرجه مسلم) الكهر: الانتهار . وقد كهره يكهره ، إذا زجره واستقبله بوجه عبوس.

(النهاية في غريب الحديث «لابن الأثير»)

حكم ومواعظ

قال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك.

عيون الأخبار

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"من زهد في الدنيا ؛علمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه الله بلا هداية، وجعله بصيراً، وكشف عنه العمى" . من الآثار السيئة للحديث عدم الأخذ بالأسباب في طلب العلم .

السلسلة الضعيفة للألباني

إعداد : علاء خضر

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم وراء ظهري»

رواه البخاري

من هدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألا أخبركم بمن يحرم على النّار، أو بمن تحرم عليه النّار؛ على كلّ قريب هيّن سهل»

صحيح مسلم

فضل صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر.

(صحيح مسلم)

من فضائل الصحابة

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله فقال: اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

رواه البخاري

زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات .

سنن أبي داود

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (١٠٢)

حجاب المرأة المسلمة (١٢)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

ما زال حديثنا متواصلاً عن أدلة حجاب المرأة المسلمة، وقد تكلمنا على مدى الحلقات السابقة عن آيات الحجاب، ثم انتقلنا إلى الأحاديث، وذكرنا منها ثمانية أحاديث، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

إعداد: د. متولي البراجيلي

الحديث التاسع:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرَفن من الغلس". (متفق عليه).

وفي رواية - عند البخاري - "ولا يعرفن بعضهن بعضًا". (والمرط: كساء من صوف).

الاستدلال من الحديث:

١- الحديث يورده العلماء في مواقيت الصلاة عند تبيين وقت صلاة الفجر (الغلس: هو وقت اختلاط ضوء الصبح بظلمة الليل).

٢- هل يستدل من الحديث على تغطية الوجه أم عدم تغطيته؟ قال في المنتقى: وقوله (ما يُعرَفن من الغلس): يحتمل أمرين:

أحدهما: لا يُعرَف أرجال هن أم نساء من شدة الغلس، إنما يظهر للرائي أشخاصهن خاصة؛ قال ذلك الراوي.

ويحتمل أيضًا أنه يريد لا يعرفن من هن من النساء من شدة الغلس، وإن عرف أنهن نساء إلا أن هذا الوجه يقتضي أنهن سافرات عن وجوههن، ولو كن غير سافرات لمنع النقاب وتغطية الوجه من معرفتهن لا الغلس، إلا أنه يجوز أن يبيح لهن كشف وجوههن أحد أمرين: إما أن يكون ذلك قبل نزول الحجاب، أو يكون بعده لكونهن أمنَّ أن تُدرك صورهن من شدة الغلس فأبيح لهن كشف وجوههن. (المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد الباجي ٩/١).

قال الداودي: معناه ما يعرفن أنساء هن أم رجال، وقيل ما يعرف أعيانهن، قال النووي: وهذا ضعيف؛ لأن المتلفعة في النهار أيضًا لا يُعرف عينها، فلا يبقى في الكلام فائدة". (شرح النووي على مسلم ١٤٤/٥).

وتعقب العيني النووي، فقال: هذا ليس بضعيف، لأنه ليس المراد من قوله: ما يعرف أعيانهن، ما يشخصن حقيقة التشخيص، بل معناه: ما يعرفن أرجال أو صبيان أو نساء أو بنات (شرح سنن أبي داود للعيني ٢٩٣/٢).

وقال في "عمدة القاري": "ثم عدم معرفتهن يحتمل أن يكون لبقاء ظلمة من الليل، أو لتغطيتهن بالمروط غاية التغطي، وقيل ما

يعرفهن أحد، يعنى ما يعرف أعيانهن، وهذا بعيد، والأوجه فيه أن يقال: ما يعرفهن أحد، أي: أنساء هن أم رجال؟ وإنما يظهر للرائي الأشباح خاصة (عمدة القاري ٤/ ٩٠).

قال الألباني مستدلاً من الحديث على جواز كشف الوجه: ووجه الاستدلال به هو قولها: لا يعرفن من الغلس: فإن مفهومه: أنه لولا الغلس لعُرفن، وإنما يُعْرَفن عادة من وجوههن وهي مكشوفة.. وقد ذكر هذا المعنى الشوكاني عن الباجي، ثم وجدت رواية صريحة في ذلك بلفظ: "وما يعرف بعضنا وجوه بعض" رواها أبو يعلى في مسنده بسند صحيح عنها. (جلباب المرأة المسلمة، ص٦٥).

قال التويجري: وهذا الحديث دليل على أن نساء الصحابة رضي الله عنهن كن يغطين وجوههن ويستترن عن نظر الرجال الأجانب، حتى إنهن من شدة مبالغتهن في التستر وتغطية الوجوه لا يعرف بعضهن بعضًا ولو كن يكشفن وجوههن لعرف بعضهن بعضًا، كما كان الرجال يعرف بعضهم بعضًا. (الصارم المشهور ص٨٦).

قلت: لا يخفى أن الحديث ليس نصًّا في النقاب أو عدمه، وإنما استدل به جماهير العلماء على وقت صلاة الصبح، ومن استدل به على الحجاب استدل بمفهومه، وهذا الاستدلال يحتمل ما ذهب إليه الفريقان؛ من استدل به على تغطية الوجه، ومن استدل به على كشف الوجه. وإن كان الأقرب - والله أعلم - بضم رواية أبي يعلى السابقة أنهن كن كاشفات الوجوه، لكنَّ هذا لا يدل على جواز كشف الوجه أيضًا؛ لأن المرأة إذا أمنت أن لا يراها أحد في ظلمة الليل قد تكشف وجهها مستترة بظلام الليل، خاصة أن الرجال كانوا يمكثون بعد الصلاة في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتخلو شوارع المدينة من الرجال، والله أعلم.

الحديث العاشر:

حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: "أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده، فقال: ما أدري أيد رجل أم يد امرأة؟ قالت: بل يد امرأة، قال: لو كنت امرأة لغيرت أظفارك"؛ يعني بالحناء (سنن أبي داوود وغيره).

سند الحديث:

حدثنا حسن بن موسى قال حدثنا مطيع بن ميمون العنبري يكنى أبا سعيد، قال حدثتني صفية بنت عصمة عن عائشة أم المؤمنين. مطيع بن ميمون العنبري، أورد ابن عدي هذا الحديث في الكامل في ترجمة مطيع، وقال: "ولمطيع بن ميمون بهذا الإسناد حديث آخر، وجميعًا غير محفوظين" (انظر الكامل ت ١٩٤٣).

وقال عنه الحافظ ابن حجر: لين الحديث (تقريب التهذيب ت ٦٧٢٠).

قال الألباني: وهذا سند لين (الثمر المستطاب ص٣١٤) وحسَّنه بشواهده في سنن أبي داوود ح ٤١٦٦، وفي سنن النسائي ح ٥٠٨٩، وذكر له عدة شواهد (انظر الثمر المستطاب ص ٣١١-٣١٥).

قلت: مطيع بن ميمون العنبري ضعيف، وكذلك جهالة صفية بنت عصمة، فالحديث من جهة سنده ضعيف، والشيخ الألباني، إنما حسَّنه لشواهده الكثيرة التي أوردها، وإن كان لا يخلو سند منها من مقال.

الاستدلال من الحديث:

استدل به من قال بوجوب تغطية الوجه، كالشيخ التويجري؛ إذ قال في الصارم المشهور: "وهذا الحديث يدل على أن نساء الصحابة رضي الله عنهم كن يستترن عن الرجال الأجانب، ويغطين وجوههن عنهم، ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ونساءً يفعلون شيئًا إلا بأمر من الشارع، فعُلِمَ من هذا أن الاستتار وتغطية الوجوه

كان مشروعًا للنساء، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة ترك الخضاب في يديها وأقرها على الاستتار وتغطية الوجه" (الصارم المشهور ص٨٨).

واستدل الشيخ الألباني بالحديث وشواهده بجواز كشف وجه المرأة وكفيها، وإلا ما أقر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة على كشف يديها. (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٧١-٧٢).

قلت: الحديث من ناحية السند فيه ما رأينا، ومن ناحية متنه إن كان لليد حكم الوجه فهو حجة للقائلين بجواز كشفهما، وإن كانت اليد قد يتجاوز عن كشفها أحيانًا للضرورة فهو حجة للقائلين بتغطية الوجه، وإن كنت أرى أن مناولة الكتاب ليس من حالات الضرورة، إلا لو كانت المرأة تغطي يديها بكمِّ جلبابها الطويل ولا ترتدي القفازين، فلما ناولت الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم ظهر كفاها، والله أعلم.

الحديث الحادي عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت سودة بعدما ضُرِبَ الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال يا سودة: أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وانه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا. قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن (متفق عليه).

وفي رواية مسلم: "وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسمًا" (أي أطول من النساء)، ورواية أخرى: "وكانت امرأة طويلة".

الاستدلال من الحديث:

قال القاضي عياض: "فرض الحجاب مما اختص به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا يجوز لهن إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه الضرورة من الخروج للبراز، قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ» ، وقد كنَّ إذا قعدن للناس جلسن من وراء الحجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن، كما جاء في حديث حفصة يوم وفاة عمر رضي الله عنهما سترها النساء عن أن يرى شخصها، ولما توفيت زينب رضي الله عنها جعلوا لها قبة فوق نعشها تستر شخصها". (شرح النووي على مسلم ١٥١/١٤، إرشاد الساري ١١٩/٨).

قال الألباني: "وفي الحديث دلالة على أن عمر رضي الله عنه: إنما عرف سودة من جسمها فدل على أنها كانت مستورة الوجه، وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها أنها كانت رضي الله عنها تعرف بجسامتها، فلذلك رغب عمر رضي الله عنه أن لا تعرف من شخصها، وذلك بأن لا تخرج من بيتها، ولكن الشارع الحكيم لم يوافقه هذه المرة لما في ذلك من الحرج". (جلباب المرأة المسلمة ص ١٠٥).

قلت: من استدل بالحديث على وجوب تغطية الوجه، قال: إن معنى الحجاب هو تغطية الوجه والكفين وسائر الجسم، وإذا لم يكن هذا المعنى هو المراد من الحجاب، فماذا كانوا يغطون قبل نزول الحجاب، والحديث في حجاب أمهات المؤمنين، وفرض الحجاب الكامل عليهن بما في ذلك الوجه والكفين لم ينازع فيه أحد، فهذا أمر متفق عليه، إنما يبقى الخلاف - الذي أشرنا إليه من قبل - هل الخطاب لأمهات المؤمنين يشمل جميع النساء أم لا؟

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



زكاة الفطر

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أحببت أن أذكر نفسي وإخواني بالأحاديث التي عليها مدار أحكام زكاة الفطر، وكيف استنبط منها أهل العلم هذه الأحكام.

معنى زكاة الفطر:

هي الزكاة التي سببها الفطر من رمضان، وتسمى أيضًا صدقة الفطر.

أولاً: الأحاديث التي عليها مدار أحكام زكاة الفطر:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: " عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ " رواه الجماعة باختلاف في الألفاظ.

وفي رواية قال: عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ فَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ صَدَقَةَ الْفِطْرِ أَوْ قَالَ رَمَضَانَ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ فَعَدَلَ النَّاسُ بِهِ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا يُعْطِي التَّمْرَ فَأَعْوَزَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ التَّمْرِ فَأَعْطَى شَعِيرًا فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطِي عَنْ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ حَتَّى إِنْ كَانَ لِيُعْطِي عَنْ بَنِيَّ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ. رواه البخاري.

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإخراج زكاة الفطر أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة. رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نعطيها في زمان النبي صلى الله عليه وسلم صاعًا من طعام، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من زبيب. فلما جاء معاوية وجاءت السمراء فقال: إني لأرى مُدَّيْن من سمراء الشام يعدل صاعًا من تمر، فأخذ الناس بذلك. قال أبو سعيد: فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه" رواه الجماعة، لكن البخاري لم يذكر فيه قال أبو سعيد فلا أزال.. إلخ.

وفي رواية قال: كنا نُخرج زكاة الفطر ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا عن كل صغيرٍ وكبيرٍ حرٍّ ومملوك.. رواه مسلم.

وفي رواية قال: "كنا نُخرج زكاة الفطر صاعًا من طعام أو صاعًا من شعير أو صاعًا من تمر أو صاعًا من أقط أو صاعًا من زبيب". رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طُهْرَةً للصائم من اللغو والرَّفث وطُعمَةً للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات" رواه أبو داود برقم ١٦٠٩. قال الألباني: حسن.

هذه أحاديث صحيحة وحسنة عليها مدار

أكثر الأحكام المتعلقة بزكاة الفطر، وقد ذكرت حديث عبد الله بن عمر أولًا لأنه أكثرها اشتمالاً على هذه الأحكام.

حكمُ زكاة الفطر:

حديثا عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ذكرا أن صدقة الفطر فرض- والصحيح أن زكاة الفطر فرض، لأنها أولاً زكاةٌ كسائر الزَّكَوات، وثانيًا قد نُصَّ عليها بأنها فرض، وإذا جاءت في النص كلمةُ (فَرَضَ) وجب أن تُصرف إلى معناها الشرعي وهو الواجب. فالحقائق الشرعية مقدَّمة على الحقائق اللغوية، وقد ثبت أن قوله تعالى «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» نزلت في زكاة الفطر كما روى ذلك ابن خزيمة. (نيل الأوطار ٧/٣٧٠، الجامع لأحكام الصيام ١/٣٦٣).

حكمتها:

ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ".. زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين". قال ابن عثيمين: "والحكمة من وجوب زكاة الفطر من رمضان ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم "طهرة للصائم من اللغو والرفث"، وشكرٌ لله- عز وجل- على إتمام الشهر، وطعمة للمساكين في هذا اليوم الذي هو يوم عيد وفرح وسرور فكان من الحكمة أن يعطوا هذه الزكاة؛ من أجل أن يشاركوا الأغنياء في الفرح والسرور. (الشرح الممتع ٦/٩٢).

على من تجب:

ورد في حديثي ابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنها تجب على كل مسلم دون استثناء، فتجب على الكبير وعلى الصغير، وتجب على الذكر وعلى الأنثى، وتجب على الحر وعلى العبد، وتجب على من صام، وعلى من لم يصم، فهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، ولم يرد في النصوص أي استثناء ولا أي تقييد لهذا الحكم العام المطلق. (الجامع لأحكام الصيام ١/٣٦٣).

وتجب زكاة الفطر عليهم بشرطين:

١- الإسلام:

قوله في حديث ابن عمر: "من المسلمين"؛ فيه دليل على اشتراط الإسلام في وجوب الفطرة، فلا تجب على الكافر. ولأن زكاة الفطر قُرْبَة من القُرَب وطهرة للصائم من الرفث واللغو- كما تقدم- وليس الكافر من أهلها.

٢- القدرة على إخراج زكاة الفطر: وحدّ هذه القدرة أن يكون عنده فضل عن قُوتِه وقُوت من في نفقته ليلة العيد ويوميه عند جمهور العلماء؛ فإذا كان المسلم عنده ما يقوته يوم العيد وليلته، وبقي صاع فإنه يجب عليه إخراجه، وكذلك لو بقي نصف صاع فإنه يخرجه لقوله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» التغابن: الآية ١٦. (الشرح الممتع ٦/٩٢).



وقتُ إخراجها:

هذه الأحاديث قد بيَّنت وقتَ إخراج الزكاة، وأنه قبل صلاة العيد، أو قبل خروج الناس إلى الصلاة، وهو تحديد واضح وملزمٌ لآخر وقت الإخراج، وما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما "من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات"، هو أكثر وضوحًا لتحديد نهاية وقت الإخراج، ولبيان الوجوب والإلزام، فقوله "من أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات"، أي: فهي صدقة تطوُّع، يعني أنها لم تعد زكاةَ فطر مفروضة، ويقع الإثم بهذا التأخير. والظاهر أنَ من أخرج الفطرة بعد صلاة العيد كان كمن لم يخرجها باعتبار اشتراكهما في ترك هذه الصدقة الواجبة وقد ذهب الجمهور إلى أن إخراجها قبل صلاة العيد إنما هو مستحب فقط وجزموا بأنها تجزئ إلى آخر يوم الفطر والحديث يرد عليهم. (نيل الأوطار للشوكاني ٧/٣٨٠).

والأحاديث السابقة لم تحدد أول وقت الإخراج، فنقول: إن الواجب على كل مسلم أن يخرج زكاة الفطر قبل أن يصلي صلاة العيد، ولا يصلي إلا بعد أن يكون قد أخرج زكاة فطره. أما أن

يخرجها قبل الصلاة بوقت طويل أو بوقت قصير فهذا ما لم تحدِّده الأحاديث وما لم تنصَّ عليه، ويمكن أن يستفاد وقت الإخراج من قول ابن عمر: وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين.

أما ما جاء في الحديث (وأن عبد الله كان يؤديها قبل ذلك بيوم أو يومين) فليس فيه تحديدٌ لأول الإخراج، وإنما هو اختيار من ابن عمر لهذا الوقت فحسب، فكما أنه يحق لابن عمر أن يختار هذا الوقت، فإنه يحقُّ لغيره أن يختاروقتًا قبله أو بعده. (الجامع لأحكام الصيام ١/٣٦٣، لمحمود عبد اللطيف عويضة، بتصرف).

وقتُ وجوبها:

فأما وقت الوجوب فهو وقت غروب الشمس من آخر يوم من رمضان؛ فإنها تجب بغروب الشمس من آخر شهر رمضان؛ لأنها تضاف إلى الفطر فكانت واجبة به، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث. (انظر المغني لابن قدامة).

الأصنافُ التي تُجزئ في زكاة الفطر:

باستعراض الروايات كلها في حديثي ابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، نجد أن الأصناف المذكورة هي: التمر، والشعير، والحنطة أو القمح أو البُرّ، والزبيب، والأَقط، والسويق، والسُّلت- وهو صنف من الشعير لا قشر له-، والطعام- هكذا على العموم- هذه هي الأصناف المذكورة في الأحاديث، وهي أصناف مُجزئة. وباستعراض هذه الأصناف نجد أنها قد استغرقت الأقوات التي كان المسلمون آنذاك يقتاتون بها، وبمعنى آخر فإن زكاة الفطر يخرجها المسلمون مما يقتاتون به، ولم تأت الأصناف في الأحاديث على سبيل الحصر فالقمح أو قل السمراء وهي القمح الشامي، قد تأخر شيوعه إلى زمان عمر بن الخطاب ومعاوية، فراح المسلمون يخرجون زكاة الفطر منه، مما يدل دلالة واضحة على أن الصحابة لم يفهموا أنَّ الأصناف المذكورة هي للحصر، وعلى هذا يجوز إخراجها من كل ما يعد قوتًا لأهل بلده من أرز وفول أو عدس أو القمح أو الدقيق أو التمر أو الفاصوليا أو اللوبيا أو غير ذلك مما يُعدُّ قوتًا في بلده، وهذا أصح أقوال العلماء، وهو مذهب الشافعية والمالكية، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

مقدارُ زكاة الفطر:

اختلف الصحابة والفقهاء من بعدهم في تحديد مقدار ما يُخْرَجُ من القمح في زكاة الفطر على رأيين، واتفقوا على إخراج صاعٍ واحد من سائر الأصناف الأخرى.

قال الترمذي: "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون من كل شيء صاعًا، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم من كل شيء صاع إلا من البُرّ، فإنه يجزئ نصف صاع، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك وأهل الكوفة يرون نصف صاع من بُرٍّ" (سنن الترمذي ٥٩/٣).

ومن المعلوم أن الصاع أربعة أمداد.

والصاع لا يمكن أن يعدل بالوزن؛ لأن الصاع يختلف وزنه باختلاف ما يُوضَع فيه، فصاع القمح يختلف وزنه عن صاع التمر، والتمر كذلك يتفاوت باختلاف أنواعه، وهكذا. ولذلك فإن أدق طريقة لضبط مقدار الزكاة هو الصاع.

والأولى أن يشيع الصاع النبوي بين الناس، ويكون مقياس الناس به. (زكاة الفطر د. يوسف بن عبدالله الأحمد بتصرف).

المستحقون لزكاة الفطر:

ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: "وطعمة للمساكين"، ويتضح من هذا النص المستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء والمساكين من المسلمين.

مكان دفعها:

تدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه، ويجوز نقلها إلى بلد آخر على القول الراجح؛ لأن الأصل هو الجواز، ولم يثبت دليل صريح في تحريم نقلها.

نسأل الله أن يتقبل منا أعمالنا، وأن يهدينا سبل السلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه،

والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الأولى

فن التعامل مع الزوجة

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ترددت عند كتابة هذا المقال هل أضع له عنوان: فن التعامل مع الزوجة؟ أو كيف تعامل زوجتك؟ أو مهارات التعامل مع الزوجة؟ أو استراتيجيات فن التعامل مع الزوجة؟! ولكن اخترت (فن) لأن قلَّ من يتقن هذا الفن.

ابتداء وجدت أن الحكمة تكمن في اختلاف الطبائع، وسبحان من جعل القوامة مع الرجل... ولنتخيل أنها سفينة واحدة ولها قبطانان أو ربانان هل ستغرق؟ نعم ستغرق في أسرع وقت...

سوف نتكلم أولاً عن القوامة: قال تعالى في محكم آياته: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» (النساء: ٣٤).

والزوج ملكٌ متوجٌ لهذه الأسرة الصغيرة إن هو حقق هذه القوامة بأركانها وشروطها وآدابها الشرعية.

وقوامة الرجل على المرأة في الإسلام ليست مجرد القيام بأمرها أو نهيها، وإنما الاهتمام بأمرها كله والنظر فيما يعنيها ويهمها، من أمورها الحياتية والإنفاق عليها ورعايتها والقيام على أمرها في حلها وترحالها وصيانتها وحمايتها إن قُصدت بسوء، ورد الاعتداء الواقع عليها حتى تكون عزيزة كريمة ولا تكون مبتذلة.

وهذا يُلقي على ولي أمرها أبًا أو أخًا أو عمًّا أو زوجًا تبعات إضافية قد ينوء كاهله عن حملها؛ وذلك لأنها تمثل زيادة أعباء إضافية على أعباء الرجل الحياتية، وكأن الإسلام أراد أن يحمل الرجل مسئولية أمرها حتى لا تضيع في هذه الحياة.

على أنه ينبغي أن نقرر أن القوامة ليست كما يُشاع عنها أنها أمر ونهي وزجر وتأديب، وممارسة للسلطة الذكورية على المرأة كما يدعي بعض جُهال زماننا.

إن النساء في الغرب يغبطن النساء المسلمات على ما أنعم الله به عليهن، لأنهن مسئولات من غيرهن ولا يتحملن مسؤولية أنفسهن، بعكس المرأة في الغرب فإنها مسئولة عن كل شيء في

حياتها، ولا تجد سوى الطريق العام ملجأً وملاذًا لها بعد أن تفقد دفء الأسرة وقوامة الرجل، وهذا الدفء يشمل بالطبع الحب والاحتواء وكل المعاني والمشاعر التي تحقق السعادة ورضا النفس لدى جميع أفراد الأسرة.

هذا وبعد أن تعرضنا لشيء من قوامة الرجل على المرأة، ومررنا عليها مرورًا سريعًا، ولو تأملت معي معنى كلمة الأسرة بشيء من الإيجاز أيضًا. تجد أن المقصود بالأسرة في لغة العرب الدرع الحصينة التي يلبسها الإنسان في الحرب، ويمكننا أن نفهم من هذا المعنى أن انتماء الشاب إلى أسرته يعني أنه في مأمن عن كثير من المآزق والمتغيرات والأخطار.

وأوضح أن هذا السور الذي يحيط به -وهو سياج الأسرة- يحميه من التأثرات والانحرافات وأصدقاء السوء، بل ويحفظه من كثير من الفتن والضلالات.

وكلمة الأسرة مأخوذة -كذلك- من الأسر، والأسر هو القيد أو الحبل الذي يشد به، والإنسان وإن كان له قدر من الحرية إلا أنه من يوم يولد نراه مرتبطًا بوالدين وأسرة له حقوق وعليه واجبات.

أقول: تخيل أنك تريد أن تتم صفقة غالية، صفقة عالية المكسب كما يقولون صفقة العمر ماذا أنت فاعل مع الطرف الآخر، أظن أنك سوف تمارس معه جميع المهارات العملية والحياتية مثل: مهارات الاستماع، ومهارات التفاوض، ومهارات الحوار وبعض التريث، وكثير من الاستدلالات والإحصائيات.

ثم تخيل أن صفقتك هنا تعني سعادتك، وذلك عن طريق طلب رضا الله متمثلًا في حسن معاملة الزوجة، وحسن إدارة الحياة الزوجية، وذلك من أجل استقرار أمثل؛ أملًا في ذرية تعبد الله على علم.

اعلم أنك لست وحدك من يشكو زوجته كلنا ذاك الرجل، والعاقل من لا يصعد مشاكله ويزايد عليها، والحكيم هو من يتقي الوقوع في الأخطاء، وإن وقع رجع وعاد. أنصحك ابتداء بضرورة معرفة طبيعة من تعامل. هي امرأة مثل: أختك، وأمك، وعمتك، وخالتك، فما ترضاه لهن ارضه لها.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضِلَع أعوج...» (المستدرك، حديث رقم: ٧٤١٥).

هيا بنا نتكلم عن أول الطرق للوصول لحياة سعيدة، أقول لك -أولًا قبل أن أنسى- إنه لا توجد طريقة مثلى لمعاملة الزوجة، ولكن توجد طريقة أنسب لمعاملة الزوجة، كل بحسبه، قد تجد امرأة ترجع بالنظرة، وأخرى تفيء بالعتاب، وأخرى ترعوي بالضرب غير المبرح، وأخرى تنزجر بقلة المال، وأخرى تهتدي بالمنطق، وهكذا... فكل أعلم بمن تحته، من ثم كان على الزوج أن يدرس زوجته دراسة واعية.

أولًا : إنك متى قدمت لها السبت أدبًا ورعاية ستجد الأحد أمامك طاعة ووفاءً، فإن البر لا يبلى.

هل فكرت تداعب زوجتك مثل ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل؟ خذ مثالًا:

١- أطعمها أطعمك الله « هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ » (الرحمن: ٦٠)، لقد كان صلى الله عليه وسلم يُطعم زوجاته، ويسقيهن بيده الكريمة.

نعم.. قد تعجب أيها الزوج من هذه المعاملة، وربما تذمرت من لطفها، لكنه الواقع الذي يحكيه لك الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول لسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه لما زاره في بيته وهو مريض، قال له: «حتى اللقمة تضعها في في -أي: فم- امرأتك يكون لك بها صدقة» صحيح البخاري، حديث رقم (٢٥٥١)، فما أجمل الإسلام وما أشمل تعاليمه!

لقمة! لكنها تقرب الزوجين إلى أن يسكن أحدهما إلى الآخر.

لقمة! لكنها تهدف إلى إيجاد محبة، ومودة بين الزوجين. لقمة! لكنها ترسم الابتسامة على شفتي زوجين متحابين.

٢- اسقها سقاك الله من نهر الكوثر «وما تفعلوا من خير».

لقد كان صلى الله عليه وسلم يشارك أزواجه

في الشراب من كأس واحدة، بمعنى: أنه يشرب مما تشرب منه زوجته صلى الله عليه وسلم، نعم.. لابد أن تتخلى أخي الزوج عن العنجهية الخرقاء، والأغلاط المجوجة التي ربما حملت شيئًا منها، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحكي حالها مع زوجها الكريم صلى الله عليه وسلم ماذا تقول؟ تقول رضي الله عنها: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناول النبي صلى الله عليه وسلم «فيضع فاه» أي: فمه «على موضع فيّ» فيشرب صلى الله عليه وسلم. (صحيح مسلم، حديث (٥٤٧).

هكذا كان صلى الله عليه وسلم في إظهار المحبة والمودة لأزواجه، نعم.. أين أنتم يا من تتبرمون من زوجاتكم، وتعادونهن أثناء عادتهن، لقد سمعتُ أحد العلماء يقول: (إن أحد الأزواج الذي كان يحمل فكرًا ومنهجًا معوجًا مع زوجته، نعم.. قال حدثني وأنا أرى الافتخار والبهجة تملأ نفسه قائلا: إني متى أعرف أن زوجتي بليت بهذا العفن؟-يقصد العذر الشهري- لا أركبها معي في السيارة إلا ورائي، لقد والله كنت أنام في غرفة وحدي وهي تنام في غرفتها وحدها». (فن التعامل مع الزوجة، د/ إبراهيم الدويش).

تعال معي لكي نقول لهذا الزوج ولأمثاله: إن تصرفكم هذا لهو الجنون والسفه بعينه، كيف لا والنبي صلى الله عليه وسلم يشرب من موضع فم عائشة رضي الله عنها وهي حائض، بل كان يضع رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وهي حائض، وكانت تناوله الأشياء وهي حائض، فقل لي بربك من أنت أيها الزوج؟؟ نعم.. من أنت كي تعامل زوجتك هذه المعاملة؟ أأنت أفضل من نبينا الطاهر الزكي الباهر؟؟ أرجو أن تحسن المعاملة مع زوجتك؟ فهي نبع فؤادك، وصفاء قلبك.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله...». (صحيح ابن حبان، حديث رقم (٤٢٦٦).

٣- اقتد بنبيك صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم حشر معهم» (سنن الترمذي، حديث رقم (٢٤٢٧)؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح ويمسي في خدمة أهله، نعم تأمل أيها الزوج.. يصبح ويمسي في خدمة أهله، لا وقتًا قصيرًا يقضيه مع أهله، لا.. بل يمسي ويصبح صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله، وهو سيد الرجال جميعًا، وقائد الأمة الإسلامية، وزعيم البشرية، وصاحب الأعباء والمشاغل الكثيرة والخطيرة والجسيمة، أعز وأكرم من وطئت قدماه الثرى، فما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء خيرًا منه صلى الله عليه وسلم.

وسُئلت عائشة رضي الله عنها عنه: ما كان يصنع في بيته؟ قالت: «يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة». (صحيح البخاري، حديث رقم (٦٣٩).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يرقع الثوب، ويخصف النعل، ويقطع اللحم (مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٢٥٤٦٦)، فما المانع أيها الزوج الكريم أن تساعد زوجتك في القيام ببعض أعمال المنزل، فإن هذا وربي من أعظم أسباب زيادة المحبة بين الزوجين، وتمتين الروابط الزوجية بينهما، خاصة إذا تكاثرت وازدحمت على الزوجة الأعباء المنزلية.

أعلم أن هذه ليست مهمتك الأساسية، لكن المقصود من ذلك: أن تشعرها باهتمامك بها، وحرصك عليها، ومراعاتك لتعبها ومجهودها. حاول أن تطلب منها متى ما كانت متعبة أن تستريح، ولا تقوم بأي عمل منزلي، وقم أنت بهذا العمل بدلًا منها، وإياك والغرور والاستكبار أو استثقال هذا العمل، فقد يظن كثير من الرجال أن مساعدته لزوجته ومعاونته لها شرخ في رجولته، أو نزولٌ عن قوامته، أو إهدار لكرامته ومنزلته.بل إني قرأت في أحد الأبحاث الأجنبية أن الزوج الذي يساعد زوجته يكون أشد إثارة من غيره وتتمنى لقاءه حتى تبعث له رسائل السعادة الشخصية. كلا والله.. بل هو التراحم، والرفق، والتعاون الذي حث الإسلام عليه.

فإليك بعض الوسائل للحب الدائم، والعشرة الطيبة: نوردها لك في المقال القادم إن شاء الله.



موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج أهل السنة والجماعة في الرّدّ عليهم

إعداد د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتحدث في هذا العدد عن موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج أهل السنة والجماعة في الرّدّ عليهم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- موقف أهل السُّنة والجماعة من المبتدعة

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة، ويُنكرون عليهم بدعهم، ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذلك:

(أ) عن أم الدرداء قالت: (دخل عليَّ أبو الدرداء مُغضَبًا، فقُلتُ له: ما لكَ؟ فقال: والله ما أعرفُ فيهم شيئًا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعًا) (رواه البخاري).

(ب) عن عمر بن يحيى قال: (سمعتُ أبي يُحَدِّثُ عن أبيه قال: كنا نجلسُ على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرجَ، فلما خرجَ قُمنا إليه جميعًا، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرتُهُ، ولم أرَ- والحمد لله- إلا خيرًا، قال: وما هو؟ قال: إن عِشْتَ فستراه، قال: رأيتُ في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبّحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلتَ لهم؟ فقال: ما قلتُ لهم شيئًا انتظارَ رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتَهُم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنتَ لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

ثم مضى ومضينا معه؛ حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم

تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده؛ إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مُفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم مريد للخير لن يُصيبه! إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايمُ الله لا أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولّى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يومَ النهروان مع الخوارج) (رواه الدارمي).

(جـ) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس- رحمه الله- فقال: من أين أُحْرِمُ؟ فقال: من الميقات الذي وَقّتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرم منه، فقال الرجل: فإن أحرمتُ من أبعد منه، فقال مالك: لا أرى ذلك، فقالَ: ما تكرهُ من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ فقالَ مالك: فإنّ الله تعالى يقول: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣).

وأي فتنة أعظم من أنك خُصِصْتَ بفضل لم يُختَصّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟! (ذكره أبو شامة في كتاب: الباعث على إنكار البدع والحوادث نقلًا عن أبي بكر الخلال ص١٤).

هذا نموذج، ولا زال العلماءُ يُنكرونَ على المبتدعة في كل عصر، والحمد لله.

٢- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة، وهو المنهج المقنع المفحم، حيث يردّون شُبَه المبتدعة وينقضونها، ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن، والنهي عن البدع والمحدثات، وقد ألّفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك، وردُّوا في كتب العقائد على الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة، في مقالاتهم المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة، وألفوا كتبًا خاصة في ذلك، كما ألّفَ الإمام أحمد كتاب الرد على الجهمية، وألف غيره من الأئمة في ذلك كعثمان بن سعيد الدارمي، وكما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم، من الرد على تلك الفرق، وعلى القبورية والصوفية، وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع، فهي كثيرة، منها على سبيل المثال من الكتب القديمة:

١- كتاب الاعتصام، للإمام الشاطبي.

٢- كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءًا كبيرًا منه.

٣- كتاب إنكار الحوادث والبدع، لابن وضّاح.

٤- كتاب الحوادث والبدع، للطرطوشي.

٥- كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة.

ومن الكتب العصرية:

١- كتاب الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ.

٢- كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

٣- رسالة التحذير من البدع، للشيخ عبد العزيز بن باز.

ولا يزالُ علماء المسلمين- والحمد لله- يُنكرون البدعَ ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجُمع والندوات والمحاضرات، مما له كبير الأثر في توعية المسلمين، والقضاء على البدع، وقمع المبتدعين.

بيان نماذج من البدع المعاصرة

البدع المعاصرة كثيرة؛ بحكم تأخر الزمن، وقلة العلم، وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات، وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم؛ مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعُنّ سُننَ من كان

قبلكم) (رواه الترمذي وصححه).

١- الاحتفال بمناسبة المولد النبوي

وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمَّى بالاحتفال بمولد المسيح، في ربيع الأول أو في غيره من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت، أو الأمكنة المعدة لذلك، ويَحضُرُ جموعٌ كثيرة من دهماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك تشبهًا بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح، عليه السلام، والغالبُ أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة، وتشبهًا بالنصارى، لا يخلو من وجود الشركيات والمنكرات، كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى درجة دعائه من دون الله، والاستغاثة به، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغُلوّ في مدحه فقال: (لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) (رواه الشيخان).

والإطـراءُ معناه: الغُلُوّ في المدح، وربما يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضُرُ احتفالاتهم، ومن المنكرات التي تصاب هذه الاحتفالات: الأناشيد الجماعية المنغمة وضربُ الطبول، وغيرُ ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيه اختلاط بين الرجال والنساء، مما يُسبّب الفتنة، ويجرّ إلى الوقوع في الفواحش، خلا (وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)، وأيضًا هو وسيلة على أن يتطور، ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

وقلنا: إنـه بدعة؛ لأنـه لا أصل له في الكتـاب والسنة وعمـل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة، قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني- رحمه الله-: (أمَّا بعدُ: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيّنًا، والإيضاح عنه معينًا، فقلت- وبالله التوفيق-:

لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة، ولا يُنقلُ عملُه عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكَّالون).

وقـال شيخ الإسـلام ابـن تيمية رحمه الله: (وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا... من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا، مع اختلاف الناس في مولده، فإنَّ هذا لم يفعله السلف، ولو كان هذا خيرًا محضًا، أو راجحًا؛ لكان السلفُ- رضي الله عنهم- أحقَّ به منَّا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنمـا كـان محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعثَ به، والجهادُ على ذلك بالقلب واليد واللسان، فـإن هـذه طريقة السابقين الأولـين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) ... انتهى ببعض اختصار.

وقـد أُلِّـفَ في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وحديثة، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبهًا، فإنه يجرُّ إلى إقامة مـوالـد أخـرى كموالد الأولـيـاء والمشائخ والزعماء؛ فيفتح أبواب شرٍّ كثيرة.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين

أسباب الطلاق والتفكك الأُسري

إهمال حدود الله تبارك وتعالى

إعداد جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدَّد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية؛ ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وكذلك مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: « وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا » (النساء: ١٣٠).

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهَد أقوى دليل على ذلك. وفي هذا المقال نذكر السبب العاشر من أسباب وقوع الطلاق وهو: إهمال حدود الله تبارك وتعالى.

إن لله تعالى حدودًا على العباد، هي بينهم وبين ربهم مباشرة كالتوحيد والصلاة والصيام وغير ذلك، كما أنَّ لله تعالى حدودًا هي في العلاقات والمعاملات والحقوق بين العباد.

ففي مسائل الطلاق مثلًا أو الخلع، أو الطلاق الرجعي، أو طلاق الثلاث؛ جعل الله تعالى لكل ذلك أحكامًا قضى بها سبحانه بين العباد، ولا يجوز لأحد تعديها أو تجاوزها، فإذا تعداها المرء فقد ظلم نفسه وظلم غيره، والظلم ظلمات يوم القيامة، ستُستوفَى المظالم من أصحابها لمستحقيها يوم لا يكون الوفاء إلا بالحسنة والسيئة.

وفي الدليل شفاء العليل:

قال الله تعالى: « ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (البقرة: ٢٢٩).

وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ » (الطلاق: ١).

وفي شأن تقسيم الميراث الذي هو

حقوق وفرائض وأنصبة بين العباد، وصف الله قوانين الميراث بأنها حدود الله؛ وكان تقسيم هذه الحقوق بتقدير العزيز العليم، ولأنها بتقديره وتقسيمه جعل المخالف لها متعديًا لحدوده، مستحقًا لعقوبته في النار وخلوده، فقال تعالى بعد ما قسم المواريث: « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (النساء: ١٣-١٤).

ولأن حديثنا عن الأزواج وعن سبب وقوع الطلاق بينهم؛ فمن أجل ذلك كان لزامًا على كل زوجين أن يفهما أن كل واحد منهما حلٌّ للآخر ولكن بما أحل الله، وأيضًا فإن لكل منهما على الآخر حدودًا محرمة لا يجوز تعديها ولا تجاوزها. فمثلا: أحل الله تعالى للزوج إتيان زوجته أنَّى شاء إذا كان في القُبُل، فقال تعالى: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » (البقرة: ٢٢٣).

وعلى المرأة طاعة زوجها في هذا مادامت قادرة وطاهرة وصالحة لذلك، ويحرم عليها الامتناع عنه بدون عذر، ولها العقوبة واللعن إذا امتنعت كما جاء عند البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح». صحيح البخاري ح٣٢٣٧. وفي رواية لمسلم عنه، «إذا باتت المرأة، هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». صحيح مسلم ح١٤٣٦.

لكنه سبحانه وتعالى كما شدَّد على المرأة عند تجاوزها الحدود في هذا الشأن بإهمال حق زوجها، فإنه جل وعلا شدد على الزوج ألا يقرب زوجته بجماعٍ حال حيضها، فقال عز من قائل حكيم: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » (البقرة: ٢٢٢).

والمقصود بالجماع هنا: إتيان المرأة في فرجها، أما الاستمتاع بها دون الفرج فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

كما شدَّد الشرع الشريف من استخدام بديل للجماع في الفرج حال انشغاله بحيض أو نفاس؛ كأن يأتي الرجل امرأته في دبرها. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الذي يأتي امرأته في دبرها، لا ينظر الله إليه». مسند أحمد ح٧٦٨٤.

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملعون من أتى امرأته في دبرها». مسند أحمد ح٩٧٣٣. وإسناده حسن.

وعلى المرأة معارضة زوجها في ذلك، ولا توافقه على هذه الفعلة الشنيعة القذرة بأيِّ حال، ولا طاعة للزوج في ذلك، بل الطاعة لربها جل وعلا ورب زوجها، ولسيدها النبي وسيد زوجها وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم.

وعليه فكل ما بين الرجل وزوجته من حقوق وواجبات فإنما هو شرع الله سبحانه كما قال هو جل شأنه: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ». سورة البقرة/٢٢٩. والمتجاوز لحق صاحبه في هذا المقام متجاوز لحق الله ومتعد

لحدوده، قد أوجب على نفسه وعيد الله تعالى بالمقت واللعنة.

ونتيجة لهذه التجاوزات النابعة من الجهل بحدود الله، ومن عدم الفقه في دينه سبحانه والخوف منه؛ وعدم العلم بقواعد التعامل بين الأزواج والناس؛ يحدث الشقاق، وكثيرًا ما يقع الطلاق.

وقد عرف نساء السلف رضوان الله عنهم جميعًا هذه القواعد والأصول فعاشوا أحسن حياة، أحباباً في الله في السراء والضراء، في المنشط والمكره، في الزواج والطلاق، إمساكًا بالمعروف أو التسريح بإحسان؛ فانظروا إلى الأخلاق الجميلة الرائعة قبل وقوع الطلاق، وعند إرادة الفراق:

عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عن الجميع ، أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلُق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة». صحيح البخاري ح٥٢٧٣.

قال ابن حجر رحمه الله: «وَكَأَنَّهَا أَشَارَتْ إِلَى أَنَّهَا قَدْ تَحْمِلُهَا شِدَّةُ كَرَاهَتِهَا لَهُ عَلَى إِظْهَارِ الْكُفْرِ لِيَنْفَسِخَ نِكَاحُهَا مِنْهُ، وَهِيَ كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، لَكِنْ خَشِيَتْ أَنْ تَحْمِلَهَا شِدَّةُ الْبُغْضِ عَلَى الْوُقُوعِ فِيهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تُرِيدَ بِالْكُفْرِ كُفْرَانَ الْعَشِيرِ الذي[هُوَ تَقْصِيرُ الْمَرْأَةِ فِي حَقِّ الزَّوْجِ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ: الْمَعْنَى أَخَافُ عَلَى نَفْسِي فِي الْإِسْلَامِ مَا يُنَافِي حُكْمَهُ مِنْ نُشُوزٍ وَفَرْكٍ (كراهية) وَغَيْرِهِ مِمَّا يُتَوَقَّعُ مِنَ الشَّابَّةِ الْجَمِيلَةِ الْمُبْغِضَةِ لِزَوْجِهَا إِذَا كَانَ بِالضِّدِّ مِنْهَا، فَأَطْلَقَتْ الْكُفْرَ عَلَى مَا يُنَافِي مُقْتَضَى الْإِسْلَامِ». فتح الباري لابن حجر (٤٠٠/٩)

وفي رواية عن ابن عباس، قال: أول خلع في الإسلام أخت عبد الله بن أبي، أتت النبي، عليه السلام، فقالت: يا رسول الله، لا تجتمع رأسي ورأسه أبدًا، إني رفعت جانب الخباء، فرأيته أقبل في عدة من أصحابه، فإذا هو أشدهم سوادًا، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا، فقال: (أتردين عليه حديقته؟)، قالت: نعم، وإن شاء زدته، ففرق بينهما.

وهذا الحديث أصلٌ في الخلع، وعليه جمهور الفقهاء، قال مالك: ولم أزل أسمع ذلك من أهل العلم، وهو الأمر المجتمع عليه عندنا أن الرجل إذا لم يضر بالمرأة ولم يسيء إليها ولم تؤت من قبله، وأحبت فراقه، فإنه يحل له أن يأخذ منها كل ما افتدت به، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة ثابت، وإن كان النشوز من قبله بأن يضر بها ويضيق عليها رد عليها ما أخذ منها، روى هذا عن ابن عباس، وعامة السلف، وبه قال الثوري، وإسحاق، وأبو ثور. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٢٠/٧).

- وانظروا إلى هذه الأخلاق الجميلة بين الأزواج بعد الطلاق في صدر الإسلام؛ فقد كان سهل بن سعد كثيرًا ما يتزوج؛ قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: تَزَوَّجَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ خَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً. وَذَكَرُوا أَنَّهُ حَضَرَ وَلِيمَةً فِيهَا تِسْعَةٌ مِنْ مُطَلَّقَاتِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ وَقَفْنَ لَهُ وَقُلْنَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ؟. تاريخ الإسلام للذهبي (١١١٣/٢)، ومعجم الصحابة للبغوي (٨٧/٣).

إنهم قوم يعرفون الله ويراقبونه، ويعرفون حدوده ويقفون عندها.

نسأل الله أن يصلح بيوتنا ويبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قصة استجابة الله تعالى للشيطان بتسليطه على أيوب عليه السلام

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب التفاسير خاصة كتب التفسير بالمأثور، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الشَّيْطَانَ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: يَا رَبِّ، سَلِّطْنِي عَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ اللَّهُ: قَدْ سَلَّطْتُكَ عَلَى مَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَلَمْ أُسَلِّطْكَ عَلَى جَسَدِهِ»، فَنَزَلَ فَجَمَعَ جُنُودَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ سُلِّطْتُ عَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَأَرُونِي سُلْطَانَكُمْ، فَصَارُوا نِيرَانًا، ثُمَّ صَارُوا مَاءً، فَبَيْنَمَا هُمْ بِالْمَشْرِقِ إِذَا هُمْ بِالْمَغْرِبِ، وَبَيْنَمَا هُمْ بِالْمَغْرِبِ إِذَا هُمْ بِالْمَشْرِقِ، فَأَرْسَلَ طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى زَرْعِهِ، وَطَائِفَةً إِلَى أَهْلِهِ، وَطَائِفَةً إِلَى بَقَرِهِ، وَطَائِفَةً إِلَى غَنَمِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لا يَعْتَصِمُ مِنْكُمْ إِلا بِالْمَعْرُوفِ، فَأْتُوهُ بِالْمَصَائِبِ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، فَجَاءَ صَاحِبُ الزَّرْعِ، فَقَالَ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ أَرْسَلَ عَلَى زَرْعِكَ عَدُوًّا فَذَهَبَ بِهِ؟ وَجَاءَ صَاحِبُ الإِبِلِ فَقَالَ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ أَرْسَلَ عَلَى بَقَرِكَ عَدُوًّا فَذَهَبَ بِهِ؟ وَتَفَرَّدَ هُوَ بِبَنِيهِ جَمَعَهُمْ فِي أَكْبَرِهِمْ، فبينما هُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ فَأَخَذَتْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ، فَأَلْقَتْهُ عَلَيْهِمْ، فَجَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى أَيُّوبَ بِصُورَةِ غُلامٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ جَمَعَ بَنِيكَ فِي بَيْتِ أَكْبَرِهِمْ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ فَأَخَذَتْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ فَأَلْقَتْهُ عَلَيْهِمْ، فَلَو رَأَيْتَهُمْ حِينَ اخْتَلَطَتْ دِمَاؤُهُمْ وَلُحُومُهُمْ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، فَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: أَنْتَ الشَّيْطَانُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَنَا الْيَوْمَ كَيَوْمِ وَلَدَتْنِي أُمِّي، فَقَامَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ وَقَامَ يُصَلِّي، فَرَنَّ إِبْلِيسُ رَنَّةً سَمِعَ بِهَا أَهْلُ السَّمَاءِ، وَأَهْلُ الأَرْضِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، إِنَّهُ قَدِ اعْتَصَمَ فَسَلِّطْنِي عَلَيْهِ، فَإِنِّي لا أَسْتَطِيعُهُ إِلا بِسُلْطَانِكَ، قَالَ: «قَدْ سَلَّطْتُكَ عَلَى جَسَدِهِ، وَلَمْ أُسَلِّطْكَ عَلَى قَلْبِهِ»، فَنَزَلَ فَنَفَخَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ نَفْخَةً قَرِحَ مَا بَيْنَ قَدَمَيْهِ إِلَى قَرْنِهِ فَصَارَ قَرْحَةً وَاحِدَةً، وَأُلْقِيَ عَلَى الرَّمَادِ حَتَّى بَدَا حِجَابُ قَلْبِهِ، فَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَسْعَى إِلَيْهِ حَتَّى قَالَتْ لَهُ: أَمَا تَرَى يَا أَيُّوبُ؟ نَزَلَ بِي وَاللَّهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْفَاقَةِ مَا إِنْ بِعْتُ قُرُونِي بِرَغِيفٍ فَأُطْعِمُكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيَكَ وَيُرِيحَكَ، قَالَ: وَيْحَكِ! كُنَّا فِي النَّعِيمِ سَبْعِينَ عَامًا فَاصْبِرِي حَتَّى نَكُونَ فِي الضُّرِّ سَبْعِينَ عَامًا، فَكَانَ فِي الْبَلاءِ سَبْعَ سِنِينَ وَدَعَا، فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَوْمًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ، فَقَامَ فَنَحَّاهُ عَنْ مَكَانِهِ، وَقَالَ: « ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ » ، فَرَكَضَ بِرِجْلِهِ فَنَبَعَتْ عَيْنٌ، فَقَالَ: اغْتَسِلْ مِنْهَا، ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا، فَقَالَ: « ارْكُضْ بِرِجْلِكَ » فَنَبَعَتْ عَيْنٌ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ: اشْرَبْ مِنْهَا، وَهُوَ

قَوْلُهُ: «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ» وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ، فَتَنَحَّى أَيُّوبُ فَجَلَسَ فِي نَاحِيَةٍ وَجَاءَتْ امْرَأَتُهُ فَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَيْنَ الْمُبْتَلَى الَّذِي كَانَ هَاهُنَا؟ لَعَلَّ الْكِلَابَ ذَهَبَتْ بِهِ وَالذِّئَابَ، وَجَعَلَتْ تُكَلِّمُهُ سَاعَةً فَقَالَ: وَيْحَكِ! أَنَا أَيُّوبُ قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ جَسَدِي، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مَالَهُ وَوَلَدَهُ عَيَانًا «وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ». اهـ.

ثانيا: التخريج:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم المتوفى: سنة ٣٢٧هـ في «تفسيره» المسمى: «تفسير القرآن العظيم» (٣٢٤٤/١٠) (ح١٨٣٦٠) قال: حدثني أبي حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن الشيطان عرج إلى السماء قال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام.. القصة.

٢- وهذا الخبر أورده محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٩هـ في «آكام المرجان في أحكام الجان» (ص٧٦٩) قال: قال ابن أبي حاتم في «تفسيره»: حدثني أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل.. فذكر السند إلى ابن عباس.

٣- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٧٥٢/٥٠٧/٢٠): «يوسف بن مهران البصري والصحيح أنه غير يوسف بن ماهك روى عنه علي بن زيد بن جدعان، وقال أبو الحسن الميموني عن أحمد بن حنبل: يوسف بن مهران لا يعرف، ولا أعرف أحداً روى عنه إلا علي بن زيد.

قلت: فحديثه غريب، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٨٢/٢): «يوسف بن مهران وليس يوسف بن ماهيك، لم يرو عنه إلا ابن جُدعان ويوسف بن مهران لين الحديث».

قلت: وهذا المصطلح من الحافظ ابن حجر يدل على غرابة حديثه وعدم المتابعة وكل ما روى عنه غريب انفرد عنه به علي بن جدعان.

٤- علي بن زيد بن جُدعان أورده الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٢٨٤/٧) وذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: قال أحمد: «ليس بشيء».

وقال ابن سعد: «وُلِدَ وهو أعمى وكان كثير الحديث وفيه ضعف لا يحتج به».

وقال ابن خيثمة عن يحيى: «ضعيف في كل شيء»، وفي رواية: «ليس بذاك»، وفي رواية الدوري: ليس بحجة، وقال مرة: ليس بشيء.

وقال العجلي: كان يتشيع.

وقال الجوزجاني: «واهي الحديث».

وقال ابن خزيمة: «لا أحتج به لسوء حفظه».

وقال عمر بن علي: «كان يحيى بن سعيد يتقي الحديث عن علي بن زيد».

وقال معمر القطيفي: عن ابن عيينة: «تركته زهدًا فيه».

وقال يزيد بن زريع: رأيته ولم أحمل عنه لأنه رافضيًا.

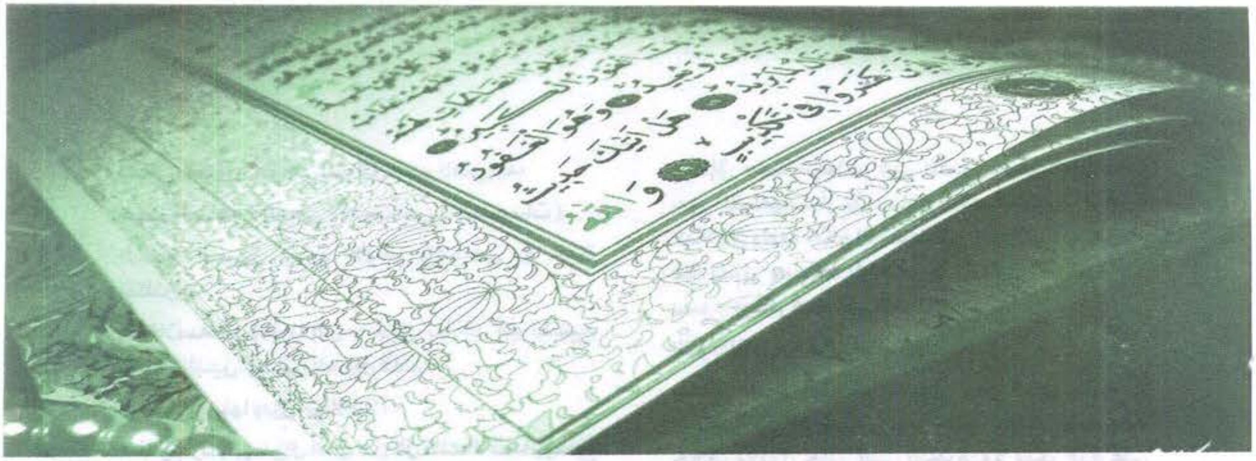
وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٠٣/٢): «علي بن زيد بن جدعان: كان يُتَّهَم في الأخبار ويخطئ في الآثار حتى كثر ذلك في أخباره وتبين فيها المناكير التي يرويها عن المشاهير فاستحق ترك الاحتجاج به».

وقال الامام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٩٥/٥) (١٣٥١/٣٨٣): «كان يغالي في التشيع».

وبهذا تصبح القصة واهية.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

تقبل الله تعالى منا ومنكم الصلاة والقيام والصيام، وأعاد علينا هذا الشهر الفضيل أعوامًا عديدة، وكل عام أنتم بخير وفضل.



مسائل الدين وصلتها بالخلاف

إعداد / د. أحمد منصور سبالك

تكلمنا فيما سبق عن مشروعية الخلاف وأسبابه وشروطه، ومع من نختلف؟ ومتى يسوغ لنا ذلك؟

وتكلمنا أيضًا عما يُسمَّى بالتلفيق الفقهي وصلته بعلم الخلاف، وأنواع الخلاف.

ويبرز هنا لنا سؤال: هل كل المسائل يسوغ لنا فيها الخلاف؟

هذا سيكون المحور السادس من منظومة الخلاف، وهو:

مسائل الدين وصلتها بالخلاف:

وقبل البدء في هذا المحور يجب علينا توضيح كيف تتبلور لنا مسائل الدين وتُحَدَّد؟!

من المقرر أن مسائل الدين تتبلور وتتحدد بطريقين:

الأول: الدليل.

الثاني: دلالة الدليل.

فالأول: الدليل: الذي يدل ويرشد إلى الحكم المطلوب في المسألة.

والثاني: الدلالة: وهي الأمر الثاني في استنباط الحكم المعني والمراد.

فبالدليل والدلالة تُستنبط الأحكام للمسائل الشرعية، ويظهر حكم هذه المسائل.

ودرج عند العلماء في ثبوت الدليل ووصوله قواعد تُتَّبَع لاختيار الدليل الذي يُرشد على حكم المسألة، فبتتبع هذه القواعد، يثبت الدليل ثبوتًا قطعيًا أو ظنيًا.

والقطعي: هو الذي لا ريب فيه، والظني: غير ذلك.

وكذلك الأمر في الدلالة، فهناك قواعد يصل من خلالها العلماء إليها وتثبت بها، إما ثبوتًا قطعيًا لا شك فيها، وإما ثبوتًا ظنيًا، قد يتطرق لها الكثير من الكلام.

فيقولون: دليل قطعي، ودليل ظني.

دلالة قطعية، ودلالة ظنية.

وحاصل قولهم هذا أن الدليل من حيث ثبوته إما أن يكون ثبوته قطعيًا لا شك فيه، أو ظنيًا فيه نظر.

وكذلك الدلالة إمَّا أن تكون دلالة قطعية أو دلالة فيها نظر، وتسمى دلالة ظنية.

وعليه: يُقسِّم أهل العلم المسائل إلى:

القسم الأول: المسائل القطعية:

وهي التي تثبت بدليل قطعي ودلالة قطعية، ويُقال عنها: قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

القسم الثاني: المسائل الظنية:

وهي التي تثبت بدليل ظني، ودلالة ظنية، ويُقال عنها: ظنية الثبوت ظنية الدلالة.

القسم الثالث: المسائل القطعية الظنية:

وهي التي تثبت بدليل قطعي، ودلالة ظنية، ويقال عنها: قطعية الثبوت ظنية الدلالة.

القسم الرابع: المسائل الظنية القطعية:

وهي التي تثبت بدليل ظني، ودلالة قطعية، ويقال عنها: ظنية الثبوت قطعية الدلالة.

وزاد البعض قسمًا خامسًا: المسائل غير المنصوص عليها:

وعلة هذه الزيادة عند من زاد أن غايتها أمور:

الأول: تأكيد مشروعية الاجتهاد.

الثاني: مواكبة الوحي للنوازل، وهو المعني به:

حصر التناهي (الوحي) للامتناهي (المستجدات).

الثالث: تضييق دائرة الأوامر والنواهي في حياة المكلفين.

والخلاصة: لو نظرنا إلى ما سبق، سنجد أنه تقسيم لمسائل الدين، ويبقى السؤال قائمًا:

ما الصلة بينها وبين الخلاف؟!

هذا يجرنا إلى سؤال آخر: هل كل تلك الأقسام يسوغ فيها الخلاف؟

ويكون مقبولاً عند أهل العلم، وصح هذا السؤال مع القاعدة المشهورة القائلة: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

ونرجع ونسأل: أي الأقسام السابقة محل اجتهاد؟

أيها القارئ الكريم: اتفق العلماء على أن القسم الأول من المسائل وهو المعروف بالمسائل القطعية؛ قطعية الثبوت قطعية الدلالة، رُبع مسائل الدين- كيفًا لا كمًا، وخمُسه عند البعض، مسائل لا تقبل الاجتهاد وذلك لأنها قطعية في ثبوت أدلتها، وقطعية في ثبوت دلالتها عليها أيضًا.

فلا محل للاجتهاد فيها؛ لذلك لا يسوغ ولا يُقبل.

أما باقي الأقسام فقد يدخل فيها الاجتهاد إما في ثبوت أدلتها أو في ثبوت دلالتها، فهي تقبل الاجتهاد بلا خلاف.

فإذن: إذا أردنا إيقاع وتنزيل القاعدة السالفة الذكر- لا إنكار في مسائل الاجتهاد- لا نطبقها إلى القسم الأول من المسائل.

ومعنى ذلك أن الخلاف في باقي أقسام المسائل مقبول على ما مرَّ بنا من محاور سابقة في شروط الخلاف وخلافه، ولا يكون الأفكار إلاّ من خالفنا في القسم الأول فقط- المسائل القطعية- التي تثبت بدليل قطعي، ودلالة قطعية.

وباقي المسائل يقبل فيها الخلاف، والمخالف أيضًا، ولا مجال أن ننكر عليه في مسائل من مسائل هذه الأقسام.

ومن هنا كان السبب الذي من أجله قسَّم العلماء الخلاف إلى نوعين من الخلاف، وهذا هو المحور الثامن من محاور الخلاف.

المحور الثامن: تقسيمات الخلاف وأنواعه:

مما سبق عند ذكر أقسام المسائل التي يكون فيها الخلاف يظهر أن هناك نوعين من الخلاف:

النوع الأول: الخلاف غير السائغ:

ويطلق عليه الخلاف غير المقبول، وهو الخلاف في أمور القطعيات، أو في المسائل قطعية الثبوت قطعية الدلالة، ولهذا حكم العلماء على هذا النوع بالحرمة، فلا يقبل عندهم الخلاف في المسائل القطعية ولا يسوغ، ويُنُكر فيه على المخالف.

النوع الثاني: الخلاف السائغ:

ويطلق عليه الخلاف المقبول، وهو الذي يكون في المسائل غير القطعية، ولهذا حكم العلماء عليه بأنه خلاف مقبول جائز ليس بمحرم، ولا يُنُكر فيه على المخالف، ويُقبل قوله إذا وافق شروط قبول القول المخالف.

ويسع فيه أهل العلم بعضهم بعضًا، ويتكلمون فيه بغية الوصول إلى الحق فيه.

هذا، وقد قسَّم العلماء الخلاف بعدة اعتبارات:

- فمنهم من قال باعتبار الحكم عليه ينقسم إلى: جائز ومحرم.

- ومنهم من قال باعتبار حقيقته ينقسم إلى: تنوع وتضاد.

- ومنهم من قال باعتبار ثمرته ينقسم إلى: لفظي ومعنوي.

- ومنهم من قال باعتبار استقراره ينقسم إلى: ثابت ومتغير.

وخلاصة الأمر: أردت أيها القارئ الكريم أن أقول لك ما ذكرته في بداية هذه المقالات: «علم الخلاف يُورث المحبة».. أن لا بد أن يتسع الصدر للمخالف، وأن تختلق له الأعذار طالما كان خلافه مقبولاً وسائغًا، ولا نفترض دائمًا أننا على الصواب والمخالف على الخطأ، ونفترض في قولنا العصمة، وقول غيرنا غير ذلك، فهذا لا يليق بمن يجاور الكتاب والسنة وبالأخص من أراد تعلُّم علومهما.

وبإذن الله تعالى نلتقي معًا في مقالة قادمة، ونتكلم عما تبقى من محاور منظومة الخلاف، وهما محوران:

الأول: الآثار المترتبة على الخلاف، وهو المحور التاسع في المنظومة.

الثاني: ضوابط التعامل مع المخالف، وهو المحور العاشر في المنظومة.

اللهم ارزقنا علمًا نافعًا وعملاً متقبلاً، وكل عام وأنتم بخير، أعاد الله عليكم الأعياد أعوامًا مديدة، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٤٦)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

نزول الخالق على الوجه اللائق به.. بين إثبات أهل السنة وتعطيل الأشاعرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فعلى نحو ما كان للأشاعرة -فيما يتعلق بصفة استوائه تعالى على عرشه- تأويلاتهم الباطلة، والمحجوجة والمردود عليها بنصوص الوحي والإجماع وقرائن اللغة والعقل.. كان الأمر كذلك بالنسبة لصفات مجيئه تعالى وإتيانه ونزوله عن عرشه.

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

أ- شبهات الأشاعرة في نفي صفة النزول والمجيء والإتيان عن الله

ولا أحد ينكر أن في إيمان الأشاعرة بقول الله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى/١١)، ما يصحح اعتقادهم في: أن ذاته تعالى لا تماثل ذوات المخلوقين، وأن ما أثبتوه من صفاته لا تماثل صفات المخلوقين.. ولكن فيصل الافتراق بينهم وبين أهل السنة والجماعة، هو: أن الأشاعرة جعلوا ما أثبته الله لنفسه من صفات وهي من وجه آخر يوصف بها المخلوق، سبباً في نفي الصفة عن الخالق بدعوى المماثلة، فكان أن تأولوا أحاديث (النزول) بأحد وجهين: «إما بأن المعنى: (ينزل أمره أو الملك بأمره)، وإما بأنه استعارة بمعنى: (التلطف بالداعين والإجابة لهم) ونحوه».

وعلى الرغم من أن هذا يرد عليه: أن ما أثبتوه من صفات المعاني يستلزم نفي المماثلة أيضاً كونها مما يوصف بها المخلوق، إذ على قولهم يجب نفيها هي الأخرى بدعوى المماثلة، وإلا أثبتوا الجميع لأن ما أنكروه من الصفات الخبرية والفعلية يستلزم أيضاً نفي المماثلة.. وعلى الرغم من أن ما جنحوا إليه يؤذن بتناقضاتهم وإيمانهم ببعض الكتاب دون البعض.. إلا أن الأمانة العلمية تقضي: بأن لو سَلِم اعتقادهم بأن جميع صفات الخالق التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله هي على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، وصفة المخلوق هي على الوجه الذي يليق بنقصه وخلقه، وأن العقل يقتضي التسليم بهذا، لانحسم الأمر ولاجتمعت الأمة على كلمة سواء، وبخاصة أن توحيد الله في صفاته وأفعاله مما لا يسوغ فيه الخلاف، لأن الحق فيه واحد لا يتعدد.. لكن من الواضح أن هذا لم يكن مُتصَوَراً لدى الأشاعرة.. وهذا هو ما حدا بالبيجوري لأن يُعلِّق في شرحه على ما نظمه اللقاني في قوله:

وكل نصٍّ أوهم التشبيها
أوّله أو فوض ورم تنزيها
ويستحيل ضد ذي الصفات
في حقه كالكون في الجهات

فيقول -ومعه في ذلك كافة الأشاعرة-: «الحاصل: أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يُشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك، لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذُكر بحسب

ظاهره، فمما يوهم الجهة قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل/٥٠) فالسلف يقولون: فوقية لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد بالفوقية (التعالي في العظمة)، وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استوى.. طه/٥) فالسلف يقولون: استواء لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد به (الاستيلاء والمُلك).. ومما يوهم الجسمية: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر/٢٢)، وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا.. الحديث)، فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمهما، والخلف يقولون: المراد (وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب)، و(ينزل مَلك ربنا فيقول عن الله.. إلخ).. ومما يوهم الجوارح: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن/٢٧)، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح/١٠)، فالسلف يقولون وجه ويد لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد من الوجه (الذات) ومن اليد (القدرة)».. وما لبث البيجوري بسبب خلل التأويل والتعطيل هذا ومعه الأشاعرة، أن جعلوا الصحابةَ وتابعيهم وتابعي تابعيهم من السلف الصالح وجميعَ أئمة أهل الحق، بل والرسول نفسه -سيد المثبتين- في عداد المشبهة والمجسمة، بل وأدخلوا كل ما تأولوه هنا وزعموا أن السلف فوضوا معناه إلى الله، تحت عنوان ما يستحيل بحقه تعالى.

فتلخص ما يستحيل في حقه -على ما أفاده السنوسي في (أم البراهين) ونقله عنه البيجوري- في قرابة العشرين صفة، هي: ١- العدم وهو ضد الوجود، ٢- والحدوث، وهو نقيض القِدم، ٣- وطروء العدم أو الفناء، وهو نقيض البقاء.

٤- والمماثلة للحوادث وتشمل: المماثلة لها في الذات، كأن يكون جرماً أي تأخذ ذاته العلية قدراً أو حيزاً من الفراغ بحيث يجوز أن يسكن في ذلك القدر أو يتحرك عنه، مركباً كان هذا الجرم ويسمى: جسماً، ٥- أو غير مركب ويسمى: جوهراً فرداً، ٦- أو يكون عَرَضاً يقوم بالجرم كحركة وسكون واجتماع وافتراق، ٧- أو يكون في جهة للجرم فليس فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ونحو ذلك، ٨- أو له هو جهة فليس لذاته فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ونحو ذلك، ٩- أو يتقيد بمكان بأن يكون فوق العرش أو في السماء، ١٠- أو يتقيد بزمان بحيث تكون حركة الفلك منطبقة عليه، أو يَكُر عليه الجديدان: الليل والنهار، ١١- أو يتصف بالصغر بمعنى قلة الأجزاء، ١٢- أو بالكبر بمعنى كثرتها وعليه أوّلوا قوله تعالى: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ الرعد/٩) بأنه كبير في المرتبة والشرف، ١٣- ويستحيل عليه المماثلة في الصفات، بأن: تتصف ذاته العلية بالحوادث في الصفات كالقدرة الحادثة والإرادة الحادثة والحركة أو السكون، ١٤- والمماثلة في الأفعال، كأن: يتصف بالأغراض في الأفعال والأحوال فيتصف بأي من صفاتها.

١٥- كما أحالوا عليه تعالى: الافتقار بأن يكون صفة يقوم بمحل أو يحتاج إلى مخصص، فإن هذا ضد القيام بالنفس، ١٦- وأن يكون مركباً في ذاته أو يكون له مماثل في ذاته، أو يكون في صفاته تعدد من نوع واحد كقدرتين وإرادتين وهكذا من الأفعال، فإن هذا ضد الوحدانية، ١٧- وأن يكون عاجزاً عن ممكن، وهو ضد القدرة، ١٨- وأن يوجد شيئاً من العالم مع كراهيته لوجوده أو العكس، فإن هذا ضد الإرادة، ١٩- والجهل والشك والظن والوهم، فهذا ضد العلم، ٢٠- والموت، وهو ضد الحياة، ٢١- والصمم، وهو ضد السمع، ٢٢- والبكم النفسي، وهو ضد الكلام، ٢٣- والعمى، وهو ضد البصر.

والدليل على أن هذا ما فهمه اللقاني وسائر الأشاعرة عما يستحيل في حق الله، وأن وجه الصواب لم يكن متصوراً لديهم: هو أنهم نفوا -بما أحالوه بحق الله- جميع صفاته الخبرية لكونها بنظرهم جرماً، وهذا من ضيق العطن، ذلك أنهم حملوها على التشبيه فتسنى لهم حينذاك أن يتأولوها بعد أن عطلوها، ونفوا كذلك: فوقيته وعلوه واستواءَه على عرشه بحجة تنزيهه عن الجهة أو يكون هو في جهة.. كما نفوا جميع صفات الأفعال بحجة تنزيهه عن حلول الحوادث، ونفوا النزول والمجيء

والإتيان من غير ما وجه، لأنها برأيهم صفات تقتضي الحركة والانتقال، بينا الأمر لدى أهل السنة في هذا وعلى ما صرح به ابن أبي العز في شرحه للطحاوية ص٥٨ «فيه إجمال: فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله، فهذا نفي باطل».

ومما يدل كذلك على أن وجه الصواب لم يكن متصوراً لدى السنوسي والبيجوري وجميع الأشاعرة، هو: ما رأينا من: فهمهم الخاطئ عن عقيدة السلف التي تقضي: بقصر التفويض على الكيف فقط دون المعنى الذي لا يجوز تأويله إلا بقرينة، وليس ثمة.. واتهامهم المثبتين بأنهم المجسمة والمشبهة رغم نفي المثبتين بقوة وبشدة: التشبيه والتجسيم وكل ما لا يليق بجميع صفاته، بل ورغم حديث الأشعري في (مقالات الإسلاميين) عن المجسمة والمشبهة، وحكايته لما كان عليه كل من اعتقادات باطلة، بَرئ منها جميع المثبتين والأشعري واحد منهم.. وأيضاً استشهادهم في تناول صفة استوائه تعالى على عرشه بمقولة الإمام مالك، كون ما ذكروه له حجة عليهم لا لهم، ذلك أن الاستواء -على حد قوله وكما فصلنا قبل- «معلوم» وغير مجهول المعنى، وتلك هي «عقيدة أهل السنة قاطبة» على حد عبارة الذهبي في العلو، فأنى يتأتى التفويض في معاني ما أثبته تعالى لنفسه، والذي ادعاه الأشاعرة على عموم السلف وأهل السنة؟.. ولأجل كل ذا فقد كان النقد ولا يزال متوجهاً إلى الأشاعرة على ضوء الأوجه التالية:

ب- ما يجب أن يتوجه إليه انتقاد الأشاعرة في نفيهم صفة نزوله تعالى

١- أن نصهم بأن من المستحيلات على الله: (الجهة والمكان والغرض) إلى غير ذلك مما يتكئون لأجله على نفي صفة النزول وغيرها من صفات الأفعال؛ وكذا نصهم على أن منها: (الجرم، ومماثلة الحوادث في الصفات، أو أن تتصف ذاته بالحوادث فيها) إلى غير ذلك مما يتكئون لأجله على نفي الصفات الخبرية.. تنصيص باطل؛ لأنه تكليف بما لم يرد به دليل، فقد كانت العامة تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يجب عليهم من شرائع الدين وأصوله، فلم يكلفهم بمعرفة ذلك أو يُسَمِّها لهم، ولم يُؤْثر عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين أن أحداً منهم نَقَل أو أوْجب نفي وصف الله بأيٍّ من تلك الصفات الخبرية أو الفعلية، فكيف يحيلها الأشاعرة وينفونها ويجعلونها قسيمة الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الرغم من أن جميعها ثابت بهما؟!.

٢- أن طريقة التفصيل في النفي؛ والإجمال في الإثبات، التي انتهجها الأشاعرة تأثراً بالجهمية والمعتزلة، حيث أوجبوا على المكلف أن يعرف أن الله ليس كذا ولا كذا ولا كذا.. طريقة مخالفة للكتاب والسنة.

٣- أن التفصيل في النفي يوقع النافي في نفي ما أثبته الله لنفسه، لأن النافي ينطلق في النفي من فهمه هو وإدراكه، وهذا ما وقع فيه اللقاني في نحو ما أفاده في هداية المريد: من أنه تعالى «يستحيل عليه الحدوث والمماثلة للحوادث، بأن يكون جرماً تأخذ ذاته سبحانه قدراً من الفراغ»، وهو قول باقي الأشاعرة.. فقد أتى اللقاني بألفاظ مجملة لا بد فيها من التفصيل الذي ذكرناه؛ لأن هذا النفي فضلاً عن أنه لم يأت بكتاب ولا سنة، هو مشتمل على معان باطلة وأخرى صحيحة.

٤- أن الاعتماد على نفي صفات الله الثابتة بناء على نفي الأشاعرة التشبيه أو تحت مسمى (مخالفة الحوادث) باطل، لما سبق من أن مصطلح (نفي التشبيه)، هو أيضاً من الإجمال الذي يلتبس فيه الحق بالباطل بالنسبة للأشاعرة، لأنهم اعتبروا أن ما نفوه من صفات الخالق التي يوصف بها المخلوق من باب التشبيه، فنفوه عن الله وأداهم نفيهم هذا إلى نفي صفات كثيرة كاليد والوجه

والقَدَم ونحوها من الصفات، وأيضاً لما هو معلوم ومتيقن من أن إثبات صفات الخالق مما يوصف به المخلوق لا يلزم منه التشبيه، لأن إثبات صفة كل موصوف إنما هو مرتبط بما يليق به، فإذا وصفنا الخالق بأن له يدين فيده تليق بكماله وأنها غير مخلوقة، وإذا وصفنا المخلوق باليد فإنها تليق بعجزه ومخلوقيته، فلا وجه للمشابهة هنا بحال، وهذا هو منهج الكتاب والسنة.

جـ- كيف عالج سلفنا الصالح قضية (نزوله سبحانه) في بساطة ويسر؟

وما يعنينا هنا هو كلام الأشاعرة عن النزول والمجيء والإتيان وما يستلزم تلك الصفات من حركة وانتقال لا يليقان بالله، ولا أفضل في حسم ذلك مما جاء بمختصر الصواعق ص٤٨٦ من أنه: «قد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى أهل الجنة، وهذه الأفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة، فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والانتقال المختصة بالمخلوقين، فإنهما ليسا من لوازم أفعاله المختصة به، والقاعدة في ذلك: أن ما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له»، وعليه فإن «الذين نفوا عن الله الحركة والانتقال إن نفوا ما هو من خصائص المخلوق فقد أصابوا، ولكنهم أخطئوا في ظنهم أنه لازم ما أثبته الله لنفسه.. ذلك أن الصفة يلزمها لوازم من جهة اختصاصها بالعبد، فلا يجوز إثبات تلك اللوازم للرب، ويلزمها لوازم من حيث اختصاصها بالرب فلا يجوز سلبها عنه ولا إثباتها للعبد، وهذا هو الأصل في كل ما يطلق على الرب وعلى العبد»، وأقصى ما يقال في ذلك: أن لفظتي (الحركة والانتقال) من الألفاظ المجملة «فإن أريد بهما انتقال الجسم والعرض من مكان محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج إليه، امتنع إثباته لله، وإن أريد بهما حركة الفاعل وانتقاله من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً، فهذا المعنى حق في نفسه لا يعقل كون الفاعل فاعلاً إلا به، فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له» إ.هـ.

وقد حُسم أمر الكف عن الكلام في كيفية ذلك وأمر ذكر السلوب، وأزيلت شبهتهما منذ زمن بعيد، ونذكر من ذلك ما تواتر عن شيخ البخاري إسحاق بن راهويه ت٢٣٨، قال دخلت على عبد الله بن طاهر أمير خراسان فقال لي: ما هذه الأحاديث؟! تروُون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟! قلت: (نعم، رواها الثقات الذين يروُون الأحكام)، فقال: ينزل ويدع عرشه؟، فقلت: (يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟) - وفي رواية: (يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك؟)- قال: نعم، قلت: (فلم تتكلم في هذا إذاً؟)، وفي رواية: (فلم تنكره؟!)، في إشارة واضحة إلى تحقيق أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو منه العرش ودون أن يصير العرش فوقه، وأن هذا مستحيل بحقه لكون الذي يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر هو نزول المخلوق لا الخالق.. على أن هذا الذي أشار إليه إسحاق، هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها من أنه تعالى لا يزال فوق العرش مع دنوه ونزوله إلى السماء، وإمضاء الأحاديث على ما جاءت ونفي الكيفية عنها.. وكان من الممكن -لاسيما مع الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني- أن يسعنا في هذا ونظائره ما وسع الصحابة والقرون الخيِّرة، وأن يُحسم بذلك الأمر لو كان ثمة تجرد لمعرفة الحق، ولكن نأبى إلا أن نظل في دائرة مغلقة وأن يظل النزاع في مثل هذا فاش وكأنه قد كتب علينا أن نظل في شقاء وشقاق إلى يوم التغابن.. مع أنا نستطيع في سهولة ومن خلال مناقشة القواعد التي بنا عليها الأشاعرة عقائدهم، وما رُدَّ به عليهم، أن نؤكد أن ما نفوه من صفة نزوله تعالى مخالفين فيه نصوص الوحي، غير صحيح بالمرة، وأنه يجب الخضوع للآية والحديث والإجماع..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

إرشاد المُختلفين إلى حكم الترخيص في الجمعة عند اجتماع عيدين

إعداد: محمد عبد العزيز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى شرع لنا أهل الإسلام عيدين، وهما: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وشرع لنا فيهما صلاة العيد، وحثَّ على فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، فهي من شعائر الإسلام الظاهرة، ولذا فهي تؤدَّى في الخلاء، ويكبر لها تكبيرات العيد، ويخطب فيها بعد الصلاة خطبة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر النساء، وذوات الخدور منهن بالخروج لشهودها، ولو لم تتمكن المرأة من أدائها، فعن أم عطية قالت: «أمرنا بأبي هو وأمي-تعني النبي صلى الله عليه وسلم- أن نخرجهن يوم الفطر والنحر: العواتق وذوات الخدور، والحيض، فأما الحيض فيعتزلن المصلى، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. فقالت: يا رسول الله! أرأيت إحداهن لا يكون لها جلباب؟ قال: تلبسها أختها من جلبابها». أخرجه البخاري (٩٧١)، ومسلم (٨٩٠).

وللمسلمين عيد أسبوعي، وهو يوم الجمعة، وقد شرع للمسلمين فيه صلاة الجمعة بدلاً من صلاة الظهر، فهي أصل في ذلك اليوم، وليست صلاة الجمعة كهيئة صلاة الظهر، فإنها تصلى ركعتين، ويجهر فيها بالقراءة، ويشترط لصحتها أن تسبق بخطبتين...

وقد يجتمع أحد العيدين مع العيد الأسبوعي للمسلمين: فهل يرخص لمن حضر جماعة العيد في ترك الجمعة؟ أم يجزئ حضور جماعة أحدهما عن حضور الجماعة الأخرى؟ أم يجب على المكلفين الذين تجب عليهم الجمعة حضور جماعتيهما؟

وقد ورد في ذلك بعض النصوص منها:

- عن إياس بن أبي رملة الشامي، قال: شهدت معاوية بن أبي سفيان، وهو يسأل زيد بن أرقم، قال: أشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا في يوم؟ قال: نعم. قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد، ثم رخَّص في الجمعة، فقال: «من شاء أن يصلي، فليصل». أخرجه أبو داود (١٠٧٠)، والنسائي (١٥٩١)، وابن ماجه (١٣١٠).

وفيه: إياس بن أبي رملة، قال الحافظ في تهذيب التهذيب (١/٤٢٥/١٠٦٣): «ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن المنذر: إياس مجهول، قال ابن القطان: هو كما قال».

وقول ابن القطان هذا في بيان الوهم والإيهام، قال (٤/٢٠٤): وهو من رواية إياس بن أبي رملة، قال ابن المنذر: لا يثبت هذا فإن إياسًا مجهول، وهو كما قال.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد على شرط مسلم»، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

وقال علي بن المديني: في هذا الباب غير ما حديث بإسناد جيد.

وقال النووي في الخلاصة (٢/٨١٦/٢٨٨٠): بإسناد حسن.

وقال ابن الملقن في البدر المنير (٩٩/٥): قال ابن الجوزي في تحقيقه: هذا حديث يعتمد عليه.

وقد صححه الألباني بشواهده قال في صحيح سنن أبي داود ـ الأم ـ (٩٨١/٢٣٦/٤): قلت: حديث صحيح، وصححه ابن المديني والحاكم والذهبي.

وقال: قلت: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير إياس بن أبي رملة؛ فهو مجهول، كما قال الحافظ، لكن الحديث صحيح بشواهده الآتية في الكتاب.

- وعن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عثمان بن عفان رضي الله عنه فكان ذلك يوم الجمعة، فصلى قبل الخطبة، ثم خطب فقال: «يا أيها الناس، إن هذا يوم قد اجتمع لكم فيه عيدان، فمن أحب أن ينتظر الجمعة من أهل العوالي فلينتظر، ومن أحب أن يرجع فقد أذنت له». أخرجه البخاري (٥٥٧٢).

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على خمسة أقوال مشهورة:

الأول: وهو قول الحنفية، والمالكية، والظاهرية أنه تلزمه الصلاتين.

وهؤلاء قد ضعفوا مرفوعات هذا الباب، وحملوا حديث عثمان على من لم تجب عليه الجمعة.

قال ابن المنذر في الأوسط (٢١٨٥/٢٩١/٤): «أجمع أهل العلم على وجوب صلاة الجمعة، ودلت الأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن فرائض الصلوات خمس، وصلاة العيدين ليس من الخمس، وإذا دلّ الكتاب والسنة والاتفاق على وجوب صلاة الجمعة، ودلت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن فرائض الصلوات الخمس، وصلاة العيدين ليس من الخمس، وإذا دل الكتاب والسنة والاتفاق على وجوب صلاة الجمعة ودلت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن صلاة العيد تطوع، لم يجز ترك فرض بتطوع».

وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٧٤/١٠): «الرخصة إنما أريد بها من لم تجب عليه الجمعة ممن شهد العيد من أهل البوادي والله أعلم، وهذا تأويل تعضده الأصول وتقوم عليه الدلائل ومن خالفه فلا دليل معه ولا حجة له».

الثاني: أن الجمعة تسقط عن أهل العوالي، الذين لا تقام في بواديهم الجمعة، دون أهل المدن، وهو ظاهر حديث عثمان، وليس له مخالف من الصحابة، وهو مذهب الشافعية، وقد نقله النووي عن الجمهور.

قال في المجموع (٣٥٩/٤): «قد ذكرنا أن مذهبنا وجوب الجمعة على أهل البلد وسقوطها عن أهل القرى، وبه قال عثمان ابن عفان، وعمر بن عبد العزيز، وجمهور العلماء».

الثالث: أنه إذا صلى العيد، كان مخيرًا في حضور الجمعة، أو صلاتها ظهرًا، وهو مذهب الحنبلية، وهو من مفردات المذهب.

الرابع: أن حضور جماعة أحدهما مسقط لجماعة الأخرى، فيسقط العيد بالجمعة، والجمعة بالعيد، وهو من مفردات مذهب الحنبلية.

قال المرداوي في الإنصاف (٤٠٤/٢، ٤٠٥): «الصحيح من المذهب: سقوط صلاة العيد بصلاة الجمعة، وسواء فعلتا قبل الزوال أو بعده، وجزم به في الوجيز، والفائق، وتجريد العناية، والمنور، وغيرهم.

قال في الفروع: تسقط في الأصح العيد بالجمعة، كإسقاط الجمعة بالعيد، وأولى وصححه المجد، وصاحب الحاوي،

والرعاية الصغرى، وغيرهم وقدمه ابن تميم، ومجمع البحرين، والرعاية الكبرى، وغيرهم، وهو من المفردات».

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢١٠/٢٤، ٢١١): «إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد فللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تجب الجمعة على من شهد العيد، كما تجب سائر الجمع للعمومات الدالة على وجوب الجمعة.

والثاني: تسقط عن أهل البر مثل أهل العوالي والشواذ؛ لأن عثمان بن عفان أرخص لهم في ترك الجمعة لما صلى بهم العيد.

والقول الثالث: وهو الصحيح أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة لكن على الإمام أن يقيم الجمعة ليشهدها من شاء شهودها ومن لم يشهد العيد. وهذا هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: كعمر وعثمان وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وغيرهم. ولا يعرف عن الصحابة في ذلك خلاف. وأصحاب القولين المتقدمين لم يبلغهم ما في ذلك من السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمع في يومه عيدان صلى العيد ثم رخص في الجمعة».

الخامس: أن حضور جماعة العيد، مسقط للجمعة إلى غير بدل، ويروى هذا عن ابن الزبير، وابن عباس، ففي سنن أبي داود (١٠٧٢) وعن عطاء قال: «اجتمع يوم جمعة ويوم فطر، على عهد ابن الزبير، فقال: عيدان اجتمعا في يوم واحد، فجمعهما جميعًا، فصلاهما ركعتين بكرة، لم يزد عليهما حتى صلى العصر».

قال النووي في المجموع (٤٩٢/٤): رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم.

وهذا المذهب مهجور، ومن ثم لم يذكره ابن تيمية في مذاهب الناس، وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٧٠/١٠): «ليس في حديث ابن الزبير بيان أنه صلى مع صلاة العيد ركعتين للجمعة، وأي الأمرين كان فإن ذلك أمر متروك مهجور.

وإن كان لم يصل مع صلاة العيد غيرها حتى العصر، فإن الأصول كلها تشهد بفساد هذا القول؛ لأن الفرضين إذا اجتمعا في فرض واحد لم يسقط أحدهما بالآخر، فكيف أن يسقط فرض لسنة حضرت في يومه، هذا ما لا يشك في فساده».

فهذه مذاهب أهل العلم ملخصة في هذه المسألة، ويتبين منها:

- إجماعهم على صحة فعل من صلى العيد والجمعة إذا اجتمعا، وهو لا شك أحوط، وهو الأفضل عند من قال بالرخصة.

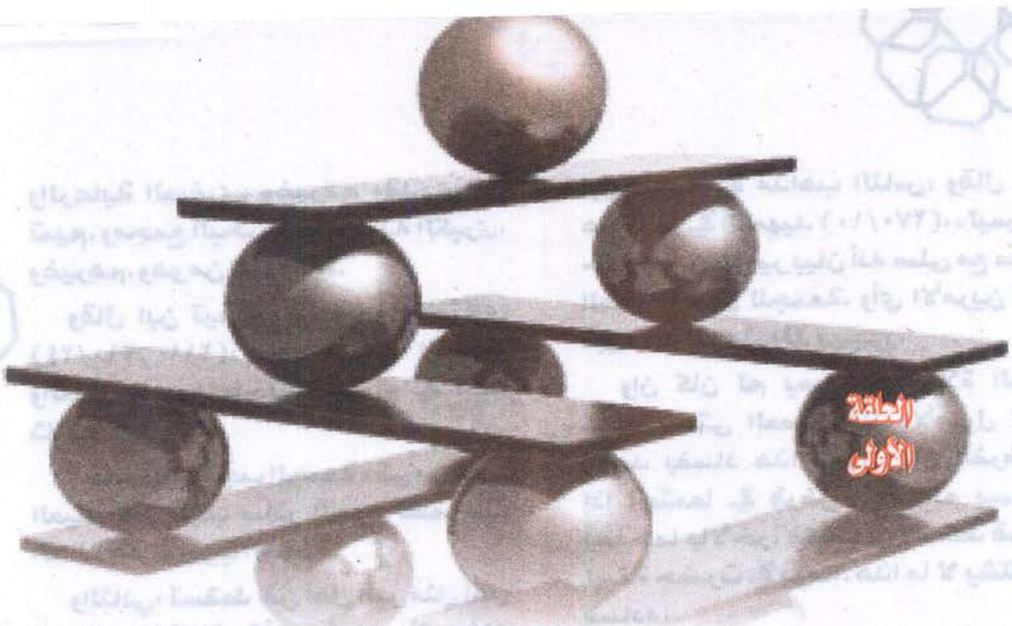
- اختلافهم في إسقاط الجمعة بالعيد، والعكس.

- أنه لا يعلم مخالف في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في أن الجمعة لا تجب على أهل العوالي الذين شهدوا العيد، وهو مذهب الشافعية، وأحد القولين عن المالكية.

- أن إسقاط وجوب الجمعة بالعيد إلى بدل من أفراد مذهب الحنبلية، وقد نصره شيخ الإسلام ابن تيمية، وكثير من علمائنا المعاصرين.

وهذا مذهب لا ريب قوي عند من صحح مرفوعات الباب، ولقوله هذا وجاهة وقوة، وقد علمت بعض من صحح مرفوعات لمجموع طرقها فيمن سبق.

هذا ما يسره الله تعالى في هذه العجالة، والله أعلم، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله منه.



الوسطية بين أهل السنة ومخالفيهم

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد امتن الله على هذه الأمة واصطفاها فجعلها خير الأمم.. أمة وسطا خيارًا، لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط، لا إلى الغلو ولا إلى الجفاء، وجعل لها من الفضل والمنزلة والمكانة ما أهّلها للشهادة على الأمم، فقال سبحانه: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة:١٤٣).

والشاهد يشترط فيه العدالة والخيرية، وهذه الأمة لمنزلتها السامية؛ فإن ربنا تبارك وتعالى يستشهدها على الأمم أنها قد بلّغتْها رسالاتُ الله، وقامت عليها الحجة، وأن الأنبياء قد بلّغوها عن الله، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم مزكيًا لهذه الأمة شهادتها. فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه قال-: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَجيءُ النبيُّ يومَ القيامة ومعه الرجل، والنبيُّ ومعه الرجلان، والنبيُّ ومعه الثلاثةُ، وأكثرُ من ذلك، فيُقالُ له: هل بلّغتَ قومك؟ فيقولُ: نعم، فيُدعى قومُه، فيُقالُ لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقالُ له: مَن يَشْهَدُ لك؟ فيقولُ: مُحمّدٌ وأمّتُه، فيُدعى مُحمّدٌ وأمّتُه فيُقالُ لهم: هل بلّغ هذا قومَه؟ فيقولون: نعم، فيُقالُ: وما علمُكم بذلك؟ فيقولون: جاءنا نبيُّنا، فأخبرَنا أنّ الرُّسلَ قد بلّغوا فصدّقناه، فذلك قولُه: وكذلك جعلْناكُمْ أُمّةً وَسَطًا لتكُونُوا شُهَداءَ على النّاسِ ويكونَ الرّسُولُ عليْكُمْ شهيدًا". (مسند أحمد ١١٧٥٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٨٠٣٣).

معنى الوسطية:

أولا: الوسطية لغة:

الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية، والنصف والتوسط بين الطرفين.

قال ابن فارس: "الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال تعالى: (أمة وسطا)" (معجم مقاييس

اللغة (١٠٨/٦)).

يقول ابن منظور: " وسط الشيء وأوسطه: أعدله"(لسان العرب ٤٣٠/٧).

ثانيا: الوسطية في الشرع:

جاءت الوسطية في الشرع بمعنى: العدالة والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط، كما في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

قال الإمام الطبري - رحمه الله-: " إنما وصفهم بأنهم " وسَط ": لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلو فيه، غلوّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه تقصيرَ اليهود الذين بدّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط، واعتدال فيه." انتهى." تفسير الطبري " (١٤٢/٣).

وسطية الإسلام بين الأمم ووسطية أهل السنة بين الفرق

وكما أن الإسلام وسط بين الأمم، فأهل السُنَّة والجماعة - أتباع السلف الصالح، الذين هم على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: وسط بين الفرق. فهم ورثة هذه الصفة الوسطية المباركة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل، فالمسلمون في صفات الله تعالى وسط بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الخالق بالصفات التي تختص بالمخلوق، وهي صفات النقص، فقالوا: إن الله فقير.. وإن الله بخيل.. وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح؛ وبين النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق فقالوا: هو الله. والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص ونزهوه أن يكون شيء كفوا له في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات... وكذلك أهل السنة في الإسلام فَهُمْ في الصحابة وسط بين الرافضة التي يغلون في علي فيجعلونه معصومًا أو نبيًا أو إلهًا، وبين الخوارج الذين يُكَفِّرُونَه... وهم في الصفات وَسَط - بين المعطلة الذين ينفون صفات الله أو بعضها ويشبهونه بالجماد والمعدوم، وبين الممثلة الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه فيصفون الله بصفات خلقه - فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تحريف". (الصفدية ٣١٠/٢)

ويأتي هذا الموضوع بيانًا "للوسطية" التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الفرق الضالة التي انحرفت عن هذا المنهج وذلك من خلال أصولهم العقدية المباركة:

الأصل الأول: وسطية أهل السنة في أسماء الله تعالى وصفاته:

فأهل السنة والجماعة وسط في هذا الباب بين أهل مقالتين باطلتين، مقالة من "عَطّل" الصفات وفي مقدمتهم "الجهمية"، ومقالة من "شَبَّه" الله- تعالى- بصفات المخلوقين كما هو طريق "الممثلة"؛ فالتعطيل باطل لأنه جحد ونفي لما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال، والتشبيه باطل لأنَّه تمثيلٌ لله بالمخلوقات.

وأما أهل السنة فمنهجهم قائم على إثبات "بلا تمثيل"، وتنزيه "بلا تعطيل"، كما قال- تعالى-: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"، فسلموا من الآفتين، ومضوا في سواء السبيل. (مجموع الفتاوى: (٥/٢٧))

"والممثلة" يضربون لله الأمثال، ويدَّعُون أن صفات

الله تعالى تماثل صفات المخلوقين، كقول بعضهم: (يَدُ اللهِ كَيَدِي) و(سَمعُ اللهِ كَسَمعِي) تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

فهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط في هذا الباب، والذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فآمنوا بجميع أسماء الله وصفاته الثابتة في النصوص الشرعية، فيَصِفُون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به أعرَفُ الخلق به رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تأويل ومن غير تمثيل ولا تكييف، ويؤمنون بأنها صفات حقيقية، تليق بجلال الله تعالى، ولا تماثل صفات المخلوقين، عملا بقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الشورى: ١١).

فأهل السنة يعتمدون على النصوص الشرعية، ويقدمونها على العقول البشرية، ويجعلون العقل البشري وسيلة لفهم النصوص الشرعية، وشرطا في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك، فهم قد توسطوا في أمر العقل أيضًا، فلم يقدموه على النصوص كما فعل أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، ولم يهملوه ويذموه كما يفعل كثير من المتصوفة، الذين يعيبون العقل، ويقرُّون من الأمور ما يكذب به صريح العقل، ويصدِّقون بأمور يعلم العقل الصريح بطلانها ممن لم يعلم صدقه (ينظر: (الطحاوية ٢٧٦-٨٠٣)، (مجموع الفتاوى ٣/١٦٨)، (درء التعارض (١/ ٢٠، ١٠٥)).

الأصل الثاني: وسطية أهل السنة في باب القضاء والقدر:

فأهل السنة والجماعة وسط في هذا الباب بين القدرية والجبرية.

فالقدرية نفوا القدر، فقالوا: إن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فالله تعالى على زعمهم لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها منهم، بل العباد مستقلون بأفعالهم، فالعبد على زعمهم هو الخالق لفعله، وهو المريد له إرادة مستقلة، فأثبتوا خالقًا مع الله سبحانه، وهذا إشراك في الربوبية، ففيهم شبه من المجوس الذين قالوا بأن للكون خالقين، فهم (مجوس هذه الأمة).

والجبرية غلوا في إثبات القدر، فقالوا: إن العبد مجبور على فعله، فهو كالريشة في الهواء لا فعل له ولا قدرة ولا مشيئة.

فهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الحق والوسط في هذا الباب، فأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة، وأن فعل العبد واقع بتقدير الله ومشيئته وخلقه، فالله تعالى خالق العباد وخالق أفعالهم، كما قال سبحانه: (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات: ٩٦). كما أن للعباد مشيئة تحت مشيئة الله، كما قال تعالى: (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (التكوير: ٢٩).

ومع ذلك فقد أمر الله العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين، ولا يرضى عن الفاسقين، وقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فمن أطاع عن بينة واختيار، لا يستحق العقاب (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت: ٤٦).

فأهل السنة يؤمنون بمراتب القضاء والقدر الأربع الثابتة في الكتاب والسنة، وهي:

(١) علم الله المحيط بكل شيء، وأنه تعالى عالم بما كان وما سيكون، وبما سيعمله الخلق قبل أن يخلقهم.

(٢) كتابة الله تعالى لكل ما هو كائن في اللوح المحفوظ

قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

(٣) مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما يقع في هذا الوجود قد أراده الله قبل وقوعه.

(٤) أن الله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه ((ينظر: منهاج السنة (٥/٢٧٦)، الطحاوية (٣١٧)، معارج القبول (٣/٩٤٠))

الأصل الثالث: وسطية أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم

وكذلك أهل السنة وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض والشيعة، فالخوارج كفروا كثيرًا من الصحابة بناء على مذهبهم الفاسد في "نصوص الوعيد"، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أفضل الأمة وإذا صدر من أحدهم خطأ فإنهم أقرب إلى مغفرة الله من غيرهم من العصاة؛ لفضلهم وسبقهم، قال الله تعالى: « لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ » (سورة التوبة:١١٧).

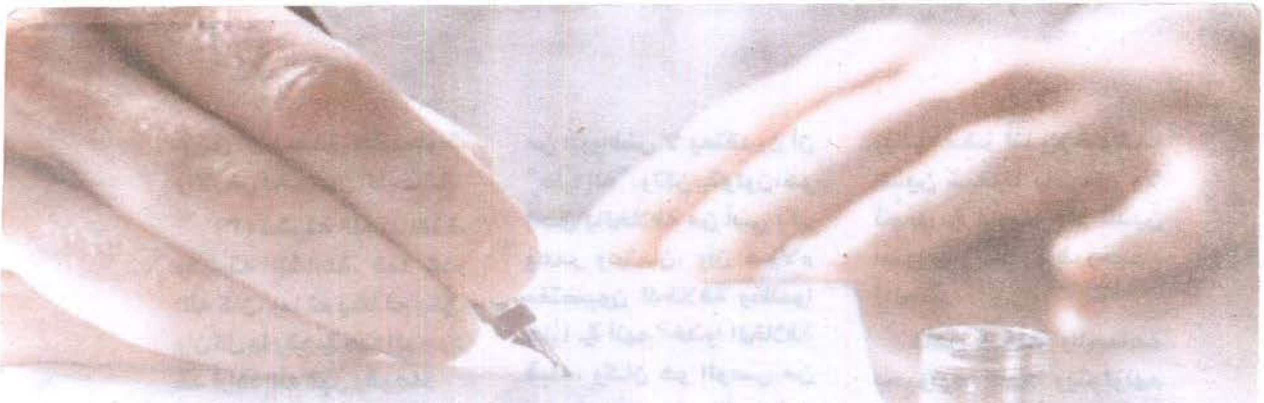
أما الرافضة فإنهم غلوا في علي بن أبي طالب، حتى إن منهم من اعتقد أنه هو الله وهم "غلاة الشيعة" وكثير من الروافض لا يعتقدون أن "عليًا إله"، ولكن يقولون: هو أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، وأن هؤلاء مغتصبون للخلافة وظلموا عليًا في أنهم أخذوا الخلافة قبله، وكان هو الوصي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل هذا كذب، فالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين هو أبو بكر، ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم من بعده عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، وهو الخليفة الرابع، فلا يبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبهم وينتقصهم إلا كافر، كما في هذه الآية: «ليغيظ بهم الكفار». فموقف الرافضة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم التكفير والتنقص والطعن فيهم، ويعتقدون ذلك من أفضل القربات، قبحهم الله.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم "يحبون كل الصحابة وآل البيت": علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعباس، وأهل البيت وغيرهم من الصحابة؛ لما جاء في الكتاب والسنة عن فضلهم وسابقتهم، والنهي عن تنقصهم، والأمر بالاقتداء بهم واتباعهم، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الحشر:١٠).

فأهل السنة والجماعة يحبونهم كلهم ويتولونهم كلهم، ولا يفرقون بينهم ويعتقدون فضلهم وسابقتهم، وأنهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن فضائلهم كثيرة في كتاب الله، وأن أحدًا لا يمكن أن يصل إلى درجتهم مهما بلغ من العبادة ومهما بلغ من الأعمال الصالحة، فلا يمكن أن يلحق بالصحابة أبدًا: «لو أنفق أحدكم مثل أحدًا ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (متفق عليه).

فأهل السنة والجماعة يخالفون الخوارج الذين يكفّرون كثيرًا من الصحابة، ويخالفون الشيعة الذين يغلون في علي رضي الله عنه وينتقصون غيره من الصحابة، هذه وسطية الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة بين فرق الضلال من الخوارج والمرجئة والشيعة والقدرية، وبهذا صاروا الأمة الوسط ولله الحمد والمنّة.

والله من وراء القصد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فإن عقد الزواج من أقدس العقود التي شرعها الله سبحانه وتعالى، فهو عقدٌ متعلقٌ بشكل مباشر بحرمة الفروج واستحلالها، فبه يتحول حكم المتعاقدين من الحرمة إلى الحل فور إتمامه، ويعود الحال إلى الحرمة، فور انقضائه، لذلك فقد عني الإسلام به عنايةً خاصّة، وأولاه أهميّة بالغة، ووصفه الله بالميثاق الغليظ، فقال تعالى: «وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢٠ - ٢١).

ولكل ذلك راعى الإسلام كل ما يضمن استمرارية هذا العقد، وتكفّل بحفظ من حفظ تلك الرابطة وأعطاها حقها، وقد شرع الإسلام منظومة متكاملة من القوانين والأحكام لضمان ذلك، إلا أنه ومع بعد كثير من الناس عن تعاليم الإسلام، وانغماسهم في لذات الدنيا ومتاعها بغير رقيب ولا وازع من دين، تفشت ظاهرة الزواج العرفي، بجناحيها: الموافق للشرع- والمترتب عليها أضرار بالزوجين وأولادهما- والمخالف للشرع - والتي تعد من الزنا- ولنا مع هذه الظاهرة الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: سبب الكتابة في هذا الموضوع:

يرجع سبب الكتابة في هذا الموضوع إلى الإحصائيات والدراسات المفزعة التي أجرتها المؤسسات الرسمية عن هذه الظاهرة، ومنها ما جاء بجريدة: المصريون بتاريخ ٢٩/١٢/٢٠٠٧م تحت عنوان «تحذير لكل أسرة: الزواج العرفي يحاصر شباب الجامعات» من أن: «أظهرت دراسة يستعد المركز القومي للبحوث الجنائية عن الزواج العرفي لإصدارها أن ٨٠٪ من المتزوجين عرفيًا من الفئة العمرية التي تتراوح أعمارها ما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، بما يعني أن أكثر من ثلاثة أرباع حالات الزواج لطلاب في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي.

وبلغت نسبة حالات الزواج العرفي بين طلاب المرحلة الثانوية وحدها ٧٪، فيما بلغت نسبة الحمل من هذه الزيجات ٤٤,٥٪، وفق مصدر شارك في إعداد الدراسة.

وفي المستوى الجامعي كان لجامعة القاهرة نصيب الأسد، حيث شهد العام الدراسي الماضي خمسة آلاف حالة زواج عرفي، تليها جامعة عين شمس أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة حالة، ثم جامعة حلوان ألفي حالة، بينما وصلت النسبة

في جامعة الإسكندرية إلى ألف وخمسمائة حالة، عدا عدد الجامعات الخاصة التي شهدت أكثر من ١٥ ألف حالة زواج. وأوضحت أن نسبة المتزوجين عرفيًا في المدارس والجامعات وصلت العام الدراسي ٢٠٠٦- ٢٠٠٧ إلى ٢٢٪، أي ما يقارب ٣٥٠ ألف حالة زواج عرفي بين الطلبة والطالبات.

وأكد الدكتور محمد فتحي مرعي الباحث في علم الاجتماع أن الزواج العرفي بين الطلاب أصبح ظاهرة مخيفة، ولابد من الوقوف أمامها لمعالجتها اجتماعيًا، وحمل فتاوى الفضائيات التي تجيز هذا النوع من الزواج المسئولية عن انتشار هذه الظاهرة. وقال: إن الطلبة الذين لا يتمتعون برعاية اجتماعية كاملة من البيت يأخذون هذه الفتوى من الجانب الجنسي وليس بالمفهوم الحقيقي لمعنى الزواج، الذي من أهم شروطه الإشهار، وتحقيق السكن والمودة. كما وجه أصابع الاتهام إلى الكليبات الغنائية العارية التي تثير الغرائز الجنسية للمراهقين، وأرجع السبب أيضًا إلى المدارس الثانوية المختلطة التي وصفها بأنها حديقة ومتنزه للزواج العرفي.

وأوضح الدكتور مرعي وفقًا لدراسة أعدها أن نسبة ٩٩ ٪ من الفتيات اللاتي تزوجن عرفيًا خرجن نادمات من هذه التجربة، والتأكيد على وقوعهن في فخ النزوة. ويتضمن هذا النوع من الزواج شروطًا لا تتوافق مع القواعد الصحيحة للزواج، يسعى من خلالها الطرفان إلى تأمين نفسه في حال كشف المستور. يذكر أن هناك أكثر من ٢١ ألف قضية إثبات نسب تتداولها المحاكم، وهذه الدعاوى مرفوعة من سيدات تزوجن عرفيًا ولم يكن لديهن ما يثبت زواجهن بعد أن تم التخلص من ورقة هذا الزواج العرفي من جانب الزوج». اهـ.

الوقفة الثانية: تعريف عقد الزواج، وأركانه، وشروطه:

أولا: تعريف الزواج لغة واصطلاحاً:

تعريف الزواج لغةً: قال ابن منظور في " لسان العرب ": «مصدر زَوَجَ، وزوّج الشيء وزوجه إليه أي ربطه به، وهو بمعنى الاقتران والارتباط، ويُطلق على كلّ واحد من الزوجين اسم زوج إذا ارتبطا بعقد نكاح.» ا.هـ.

تعريف عقد الزواج اصطلاحاً: قال شمس الدين الرملي في " غاية البيان شرح زبد ابن رسلان ": «هو عقدٌ يتضَمَن إِبَاحَة وَطْء بِلَفظ إنكاح أَو تَزْوِيج أَو بترجمته» ا.هـ.

ولكي يكون عقد الزواج صحيحا، فلابد من توافر أركانه، وشروطه، وهي:

ثانيا: أركان عقد الزواج:

لعقد الزواج مجموعةٌ من الأركان التي لا ينعقد إلا بها، وقد اختلف الفقهاء في عدد تلك الأركان، فمنهم من جعلها ركناً واحداً، ومنهم من جعلها أكثر من ذلك، ومن تلك الأركان:

١- صيغةُ العقد: وهو الرُكنُ الوحيد المُجمَع عليه بين فقهاء المذاهب بما فيهم: أبو حنيفة، وتتكوّنُ الصّيغة من الإيجاب والقَبول.

فالإيجاب: هو ما يَصدر من العاقد الأول سواء كان الزوج أو الزوجة أو وليّيهما أو وكيليهما.

والقَبول: هو ما يصدر من العاقد الثّاني كذلك وهما فيهما سواء، ويتحقّق الإيجاب والقبول باللّفظ، أي: الكلام الذي به يدل ويُعبّر فيه العاقد عن رغبته من إجراء العقد.

٢- العاقدان: وهما الزّوج والزّوجة، وكلٌ منهما ركنٌ مُستَقلّ بذاته، فلا ينعقد الزّواج بأحدهما فقط إلا إن وُجد الآخر، ويُشتَرَطُ في الزّوجة أن تكون خاليةً من مَوانع الزواج الشرعيّة، ومنها مثلاً أن تَكون مُتَزوِّجَة بغيره، أو مُعتَدّة من طلاق لغيره، أو مُطلقة منه ثلاث طلقات ما لم تُحَلّل، أو مُرتَدة، أو مَجوسية، أو وثَنيَة، أو أمَةَ (عَبدَة) والنّاكحُ حُر، أو تكونَ مَحرَمًا له، أو زوجة خامسَة، أو يَكون مُتزوّجا بأختها وغيرها ممَن لا يجمع بينه وبينها، أو تكون مُحرِمةً بحجّ أو عمرة.«يراجع كتاب روضة الطالبين للنووي».

٣- الشُهود: فلا يَنْعَقدُ النّكاح إلا بِحُضُور

شاهدين من الرجال أو بحضور رجل وامرأتين، ويشترط فيهما أن يكونا مسلمين بالغين عاقلين حُرَّيْن عَدلين سَميعَيْن بَصيرين عارفين لسان المتعاقدين.

وذهب جمع من أهل العلم إلى أن " إشهار النكاح وإعلانه " يغني عن الإشهاد، لما روى أحمد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعلنوا النكاح» (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله - في "الاختيارات الفقهية ": «لا ريب في أن النكاح مع الإعلان يصح وإن لم يشهد شاهدان. وأما مع الكتمان والإشهاد: فهذا مما ينظر فيه. وإذا اجتمع الإشهاد والإعلان فهذا لا نزاع في صحته. وإذا انتفى الإشهاد والإعلان فهو باطل عند عامة العلماء. وإن قدر فيه خلاف فهو قليل» ا.هـ.

٤- الوَليّ: فلا يصح النكاح إلا بولي، لقَوله تعالى: «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ» (البقرة: ٢٣٢) وقيل: إن هذه الآية سبب نزولها: «أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها، فأبى معقل، فنزلت: " فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ "» (رواه البخاري)

وَعَن عَائشَة رَضي الله عَنهَا أن النَّبي صلَّى الله عَلَيْه وَسَلم قَالَ: «أيُّما امرأة نُكحت بغير إذن وليِّها، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فإن دخل بها، فلها المهرُ بما استحلَّ من فرجها، فإن اشتجروا فالسُّلطانُ وليُّ من لا وليَّ له» (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

فَلَا تَصحُ عبارَة المْرَأَة في عقد الزواج سواءَ كان ذلك إيجاباً أم قبولاً، فَلا يجوز للمرأة البكر



أن تزوِّج نفسها بنفسها حتى إن أذن لها الولي بذلك، ولا يجوز أن يزوِّجها أحد غير وليها لا بولاية ولا بوكالة.

وولي المرأة: أبوها ثم أبوه ثم ابنها (إن وجد) ثم أخوها الشقيق، ثم أخوها من الأب، ثم ابن الأخ الشقيق، ثم ابن الأخ من الأب، ثم العم، ثم ابنه، ثم الحاكم المسلم. (يراجع المغني لابن قدامة).

ثالثاً: شروط عقد الزواج:

تنقسم الشروط في عقد الزواج إلى أربعة أقسام هي: شروط الانعقاد، وشروط الصحّة، وشروط النَّفاذ، وشروط الجواز. وقد ذهب جمهور الفقهاء - الحنفيّة، والمالكيّة، والشافعيّة، والحنابلة- إلى اشتراط تلك الشروط في عقد الزواج واختلفوا في تفاصيلها، فالحنفيّة مثلاً جعلوا للزواج ركناً واحداً هو الصيغة، إلا أنّهم لا يعتبرون باقي أركان عقد النّكاح التي نصّ عليها جمهور الفقهاء، بل عدوا هذه الشروط مُندرجة تحت الشروط الأصليّة التي هي أركانٌ عند باقي فقهاء المالكيّة، والشافعيّة، والحنابلة، بينما اعتبرها جمهور الفقهاء شروطاً مُستقلّة لعقد النّكاح. (يراجع " أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية " للشيخ عبدالوهاب خلاف).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



الأُخُوَّةُ صفةٌ نادرةٌ ولزماننا مغادرةٌ

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي خلق الإنسان وزيّنه بحُسن تقويمه وتقديره وجعل اختيار الصاحب إلى اجتهاد العَبْد وتشميره وسهّله عليه بتوفيقه وتيسيره والصلاة والسلام على مُحمّد عبد الله وبشيره ونذيره الذي لاحت أنوار النبوة من بين أساريره وظهر الصدق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهّروا وجه الأرض من ظُلمة الكُفر ودياجيره فلم يتدنّسوا بعد إسلامهم بقليله ولا بكثيره.

وبعد، فإن الأخُوّة صفةٌ عياريةٌ فهي كالميزان تُقاس بها أحوالُ الأمم من جهة الإيمان والأخلاق وسلامة الطباع واتّساقها مع الفطرة التي فطر الله النّاسَ عليها لأنها تكون بين القلوب والأرواح، وارتباط القلوب بالقلوب أقوى من ارتباط النسب، وتآلف الأرواح أشدُّ من تعلّق السبب بالسبب. لهذا جاءتْ آيات مشاهد القيامة تُبيّن رابطة التآخي وتُفصح عن قوّتها وشدّتها بذكر انقطاع الأخ عن أخيه وفراره منه قال تعالى: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ»، وقال أيضًا: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ».

واعلم رحمك الله أن الصاحبَ الصالحَ المهديَّ المعينَ على الخير؛ والبرّ في هذا الزمان شيءٌ قليلٌ كأنّه غُرّةٌ في وجه الدّهر ودُرّةٌ في تاج الفَخْر.

جيل الصحابة جيل الأخوة:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلح على أصحابه بهذا المعنى كي يصح فيهم غرسه فآخى بين المهاجرين والأنصار وكان المهاجري يرث أخاه الأنصاري وفي الأحاديث آخى رسول الله بين قريش والأنصار رواه النسائي، وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رواه الشيخان، وآخى بين سلمان وأبي الدرداء رواه البخاري، وكان زيد مؤاخيًا لحمزة آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أحمد ٣٢٠/١، وقال بعض الصحابة يومًا: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد رواه الترمذي.

وكان بين الأشعريين وهذا الحي ودٌّ وإخاءٌ، ومكثت هذه الأمور الحميدة وتلك الأحوال المجيدة حتى نزلت آيات المواريث وأحكام الفرائض فنسختها وصار الأمرُ لا يعدو الوُدّ ولا يتجاوز الإخاء، أمّا المواريث فلأولي الأرحام «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ».

كان هذا بعد أن وُضعت قواعدُ الأخوّة ورُفعتْ أعلامُها تخفق على أهلها وصارت شيمة ومعلمًا لا يُغادر الصحابيُّ منها صغيرة ولا كبيرة - وقد كان فآتى أكله وصاروا خيرَ جيل تآخى في الله وتحابُّوا فيه واجتمعوا عليه سبحانه وتفرّقوا عليه سوى من بعض الهَنات التي وقعتْ بين بعضهم وفي فئة قليلة منهم والتي لا يكادُ يسلم منها أحدٌ ولا يخلو

منها بشرٌ إلا أن يكونَ نبيًا، ومع ذلك يعتقد أهل السنة والجماعة أن كل هذا كان باجتهاد لا عن قصد سوءٍ وعناد، ويعتقد أهل السنّة أيضًا وُجُوب الكفّ عما شَجَر بينهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذَا ذُكِر أصْحابي فأمْسكُوا».

ومع ما كان بين قلة منهم رضي الله عنهم إلا أنّه لم يَنْقُض عُرَى الأُخُوَّة ولم يَفُكّ زرًّا من أزْرارها لأنّها نُسجتْ على التّقوى وحِيكتْ بالإيمان وصُبِغَتْ بالمحبّة الخالصة لله تعالى، وكان هذا ثمرة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتحقيق الأخُوة بينهم وتأسيسها فيهم.

عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتحقيق معاني الأخوة:

الأحاديثُ التي جاء فيها ذكْرُ الأخوة والحث على مُراعاتها كثيرة منها ما رَبَط الإيمان وأناط الإسلامُ بالأخُوّة كقوله صلى الله عليه وسلم: «المُؤمنُ أخُو المؤمن» رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤْمنُ أحدُكُم حتّى يُحبّ لأخيه ما يُحبُّ لنفْسه» رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم: «المسْلمُ أخُو المسْلم» رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «وكونوا عباد الله إخوانًا» رواه الشيخان.

ذهاب الأخوة في زماننا مزقًا وتفاريق:

من علامات الساعة انتشار القطيعة وفشو البغضاء، لأجل ذلك أصبح زمانُنا هذا أو أوشك أن يكونَ حاسرًا عن الأُخُوة عاريًا عنها غيرَ متدثر إلا بالقليل منها وكأنّها صارتْ كهشيم «تَـذْرُوهُ الرّيَاح» أو «كَسَراب بقيعة يَحسبُه الظّمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يَجدْهُ شيئًا» أو «كرماد اشتدّتْ به الرّيحُ في يوم عاصف» لا نقدرُ على شيءٍ منه.

والذي يَزيدُ المرءُ عجبًا أن ما بقي من خصالنا في تَقَلُّص وانْحسار، وما فضلَ من خلالنا في هُبوط وانحدار، حتى باتَ الأخ الوفيّ منقبةً في هذا الزمان لا تعادلُها منقبةٌ وفضيلةٌ لا توازيها فضيلةٌ وحسنةٌ لا تكاد تحيط بها ولا تحبطها سيئةٌ؛ لأنّ الأخُـوة الصادقة صارتْ عزيزةً والصحبة الصحيحة الوفيّة أصبحتْ نادرةً في هذا الزمان بل كادتْ أن تكون له مغادرةً وذلك بعد أن تبدلّتْ الأمور من بعد يُسرها عُسْرًا، وهذا أمر والله يُبكي العيون ويُنكي القلوب ويَفُتُّ الأعضادُ ويُفتّتُ الأكبادَ، أعاذنا الله من غوائل الزمان وعصمَنا من مَكَايِد أهله ومخايِل النَّكد وشَكْله ولا قوة إلا بالله.

قال إبْرَاهيم بْن أدهم: «أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان». (تهذيب الكمال: ٣٥/٢).

فأين الأخُ في الله الذي يملأ العينَ جمالًا والقلبَ جلالًا والأذنَ بيانًا بحيث ترى فيه الخصال الرضيّة والخلال المرضيّة، لقد كان هذا في الأزمان الماضية أما الآن فلا تكاد تجد من ذلك شيئًا حتى عظُم المصابُ وعزَّ التصبُّر عنه.

ذهبَ الّذين يُعاشُ في أكنافهم
ويَقيتُ في خَلَف كجلد الأجرب

يتأكلون مغالة وملاذة
ويُعاب قائلهم وإن لم يَشغب

لقد صرنا في حال يَحارُ فيه اللبيبُ ويتعجّبُ منه الأريبُ ويقعُ به في شكّ مريب، لكن الذي لا يقطع رجاءَنا ولا يُؤْيِسُنا حسنُ ظنٌ في الله وأنه لا بدّ أن يُوجد في النّاس خيرٌ وإلا قامَتْ الساعة،فلسْنَا ممّن يقول:

لا تَتْعبَنّ فدُونَ ما حاولتَه
خَرْطُ القتَاد وامْتطاءُ الكوْكب

إنما نقول مؤملين في الله أن يوفقنا ويهدينا

ومَا كلّ دانٍ منْ مَرام بخاسر
ولا كلّ نَاءٍ عن رجاءٍ بخائب

فشمِّر عن ساعد الجِدِّ ملتحفًا بحقيقة الصِّدْق تُوفَّقْ إلى أخ لك يُعينُك على أمْر دينك ويَنْصحُك ويدلُك على الطّريق ويُرشدُك في السّير على الجادّة ويأخُذ بيدكَ إلى الله تعالى ويومها ستجدُ من النّاس أفرادًا ملكوا قلْبَك بفضْلهم وعمَرُوا صَدْرك بوُدّهم وكلّ هذا في ذات الله ولوجْهه الكريم وابتغاءِ مَرْضاته.

سألتُ الناسَ عن خلٍ وفيٍ
فقالوا ما إلى هذا سبيلُ

بنفسك إن ظفرتَ بودّ حُرٍّ
فإنّ الحرّ في الدنيا قليلُ

إنّ أكثر من تراهم تبيض وساوس الشيطان في رأسهم وتفرخ وترفع نفوسهم وتشمخ.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.



تمور الطحان
أصالة الزمان
وعليك أن تتذوق
ISO 22000
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com
(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates
محافظة الوادي الجديد
خدمة العملاء
01284447778
01128911113
قلعة صناعة التمور فى مصر